من الأدب الليبي

ديوان البهلول

شرح وتحقيق

للأستاذ

الطاهر أحمد الزاوي

الطرابلسي

١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥م

الطبعة الرابعة



الإهداء

إلى المتأدبين باللغة العربية

أهدى هذه الباقة من

الأدب الليبي ؟

الطاهر الزاوى

رقم الإيداع : ١٠٠٦٤ / ٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة الأستاذ الأديب : أحمد بن حسين البهلول .

أحمد بن حسين ، بن أحمد بن محمد ، بن محمد ، بن علي ، بن أحمد ، بن قائد ، بن أحمد ، بن علي ، بن سيد الناس ، اشتهر بالبهلول :

الأستاذُ الأديبُ ، النحويّ ، اللغويُّ ، الفقيهُ ، المحدِّث ، الشاعر ، الصوفي ، من بيت علم وفضل .

ولد بطرابلس[1] ، وبها نشأ نشأة صالحة دينية ، ثم رحل إلى مصر لطلب العلم . ولقي بها الشيخ أحمد البشبيشي الكبير[2] . والشيخ محمد الخرشي[3] ، والعلامة الأستاذ عبد الباقي الزُّرقاني[4] ، وغيرهم من أكابر العلماء . وأخذ عنهم الفقه والحديث ، والتفسير ، وعلم الكلام واللغة ، والنحو ، والأصول ، والصرف والقراءات ، ثم عاد إلى طرابلس .

ويظهر أن رحلته إلى مصر كانت في النصف الثاني من المائة الحادية عشرة الهجرية لأن الأساتذة الذين أخذ عنهم كان أصغرهم الأستاذ عبد اللطيف البشبيشي

---

(١) لم نعثر على تاريخ ولادته . ويؤخذ من تاريخ وفاته أنه من مواليد أوائل القرن الحادي عشر الهجري .

(٢) الشيخ أحمد البشبيشي ، ولد سنة ١٠٤١ ﻫ وتوفي سنة ١٠٩٦ ﻫ .

(٣) الشيخ محمد الخرشي ولد سنة ١٠١٠ ﻫ وتوفي سنة ١١٠١ ﻫ .

(٤) عبد الباقي الزرقاني . ولد سنة ١٠٢٠ ﻫ وتوفي سنة ١٠٩٩ ﻫ

لأنه ولد سنة ١٠٤١ هـ ، فإذا قدرنا أن عمر الأستاذ البشبيشى حينما تولى التدريس كان ثلاثين سنة ، كانت هذه السنة تتفق مع سنة ١٠٧١ هـ . وكان عمر الأستاذ عبد الباقى الزرقانى فى هذه السنة ٥٠ سنة ، وكان عمر الأستاذ الخرشى ٤٠ سنة . وعلى هذا يمكننا أن نقول إن رحلة الأستاذ البُهلول إلى مصر كانت فى عشرة السبعين بعد الألف .

وإذا كان معنى البُهلول فى اللغة العربية هو السيد الجامع لكل خير ، علمنا أن بُهلولنا كان له نصيب كبير من اسمه ، فكان سيدا فى قومه ، وفى علمه وأدبه بمعنى كلمة السيادة .

وللأستاذ البُهلول دراية تامة بالأدب وقريحة وقادة فى الشعر رفعته إلى مقام النبوغ فيه .

ونلفت نظر مواطنينا إلى أن هناك بهلولا آخر هو أبو وُهيب بهلول بن عمرو الصيرفى الكوفى ، المعروف ببهلول المجنون ، المتوفى فى حدود سنة ١٩٠ هـ . وكان من عقلاء المجانين . وهو قبل بهلولنا بنحو ٩٢٣ سنة .

وقد نبهنا عليه لئلا يلتبس ببهلولنا الطرابلسى الذى توفى فى رجب سنة ١١١٣ هـ .

ولبهلولنا أسلوب فى الغزل على طريقة الصوفية لاتقلُّ مكانته فيه عن مكانة ابن الفارض .

وشعره الغزلىُّ ذَوْبٌ من روحه ، يسيلُ فى ألفاظ شعرية ، تعبر عما فى روحه من تأثر بالأدب ؛ وتأصل فيه . يلمس القارئُ هذه الطريقة الشيقة ــ التى تصل معانيها إلى الروح قبل أن تصل إلى الأذن ــ فى بعض مقطوعاته ؛

وفى تخميسه للقصيدة العياضية التى سار بذكره الركبان .

وقد أبدع السُّهلول فى هذا التخميس إبداعا فاق فيه الأصل ، فتراه يسقط فى تخميسه على المعنى المناسب لبيت القصيدة كأنه كان معه على ميعاد ، لاتلحظ عليه غير ذلك فى كل بيت من أبيات القصيدة .

وفى هذا التخميس ، وشدة امتزاجه بالأصل مايغرى النفوس بسماعه ، وتستريح القلوب للاصغاء إليه .

وللاستاذ السُّهلول رسائل أخرى فى الأدب دلت على علوّ كعبه فيه . وقد نظم متن العِزِّية فى فقه مالك نظما خاليا من الحشو فى غاية الابداع ، ترى عليه مَسحة الأدب فى رصانته وحسن سبكه ، كأنه قصيدة أدبية لاصلة لها بالفقه لولا ما تفهمه منها من الأحكام الفقهية .

وله المقامات الثورية ، على نمط مقامات الحريرى . وله منظومة فى العقائد سمّاها «دُرّة العقائد» وهى سبعون بيتا ، غاية فى سلاسة المعنى وعذوبة اللفظ . وله منظومة فى فقه أبى حنيفة سماها «المُعينة» [1] .

وله قصيدة حينما كان فى الأزهر يظهر بها حنينه إلى وطنه طرابلس ، أولها :

طرابلسُ الغرّاءُ ترى لى عودة   إليك وهل يدنو الذى كان قد ذهب

---

(١) لم أحظ بالاطلاع على واحد من هذه المؤلفات . ونرجو ممن يعثر عليها أو على بعضها من مواطنينا أن يتفضل بنشرها ، ليستحق بذلك تقدير أهل الفضل من مواطنيه .

سق الجانب الشرقيّ منك سحابةٌ ولا زال فيه من رياح الصَّبا مهبُّ

ذكر منها ابن غلبون فى تاريخه ٢٣ ثلاثة وعشرين بيتاً .

والذى يتتبع سيرة أحمد البُهلول وأطوار حياته يعلم أنه كان علاّمة عصره وأنه كان مُبرّزاً فى جميع العلوم ، وفى الأدب بصفة خاصة . ومع علمه الغزير وأدبه الجمّ لم ينل من الوظائف ما هو أهل له ، فقد عُدِل به غيرُه ، وأسندت إلى هذا الغير وظيفة الفتيا فى طرابلس ، ولم تقدُره المحسوبية قدْره . وهكذا كانت الأغراض والمحسوبية من القديم ، فى إسناد الوظائف إلى غير أهلها .

قال ابن غلبون فى تاريخه : كان البُهلولُ ينشد حينما يرى من قدم عليه فى الفتيا :

يحسبه الجاهل مالم يعلما شيخاً على كرسيه معمّما

وكان أحمد البُهلول محل الإجلال والاحترام من معاصريه وتلاميذه فى المشرق والمغرب ، وكان له قصب السبق فى جميع العلوم ، وخصوصاً فى اللغة ، والنحو والأدب .

وإن تخميسه للقصيدة العياضية الذى نُعنى الآن بطبعه هو نموذج من أدبه ، وباقة من باقات زهوره التى طالما سرى طيبُها إلى معاطس الأدباء ، وتعرضت لها أحاسيس الشعراء ، لتتمتع بما فيها من مدائح النبوة المحمدية .

توفى الأستاذ أحمد البهلول فى طرابلس ليلة السبت الثانى من رجب سنة ١١١٣ ، ودفن فى جبانة سيدى منيذر [١] .

عليه رحمة الله ورضوانه ؟

الطاهر الزاوى

---

(١) منيذر - بصيغة التصغير - : يمنى ، من مدحج ، أو من كندة صحابي جليل ، غزا افريقية مع موسى بن نصير . ولما رجع موسى من افريقية رجع معه وبقى فى طرابلس ، ومات بها . وقبره مشهور لا يختلف فيه اثنان . وكان يسمى المنيذر الإفريقى لطول بقائه فى إفريقية .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نقدم حمد الله وشكره بين يدى هذا العمل الذى نهدف من ورائه إلى إظهار فضل وطننا العزيز ، والتنويه بأهل الفضل من مواطنينا .

ونصلى ونسلم على سيدنا محمد سيد الفصحاء ، وإمام البلغاء ، من علّم الأدباء كيف يتأدبون ، وترك للناس مناهل من كمالات الإنسانية منها يغترفون ، وعنها يصدرون .

ورضى الله عن صحابته وآل بيته ، ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته .

وبعد : فإن ديوان البُهلول صورة مصغرة من الأدب الليبي فى النصف الثانى من القرن الهجرى الحادى عشر ، وأوائل القرن الثانى عشر .

وديوان البُهلول : تخميسٌ للقصيدة العياضية فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم . وهذه القصيدة مرتبة على حروف الهجاء - أ ب ت - على طريقة المغاربة لأنهم يعتبرون لام ألف « لا » حرفا من حروف الهجاء وبذا تكون حروف الهجاء عندهم تسعة وعشرين حرفا . أما على اصطلاح المشارقة فهى ثمانية وعشرون ، لأنهم لا يعتبرون « لا » حرفا مستقلا .

والقصيدة العياضية تشتمل على عشرين بيتاً لكل حرف من حروف

الهجاء التسعة والعشرين ، ماعدا حرف الحاء المهملة فإن لها تسعة عشر بيتاً فقط . وأضاف البُهلول ثلاث شطرات لكل بيت منها ، فأصبح كل بيت من أبياتها يشتمل على خمس شطرات : الثلاثة الأولى من تخميس البُهلول والثنتان الأخيرتان من القصيدة العياضية .

وقد التزم ناظم القصيدة أن يجعل الأبيات العشرة الأولى من قافية كل حرف تغزلا فى محب له ، والعشرة الأخيرة مدحا فى النبي صلى الله عليه وسلم فيتغزل فى العشرة الأبيات الأولى فى محبوبه ويضفى عليه من صفات الجمال ما يمكنه أن يضفيه ، فيصفه باعتدال القد ، ودعج العينين ، ورشاقة القوام ثم يذكر ما يلاقيه من جفاه له ، وصدوده عنه ، وبعدِ داره ، وعدم وفائه بوعوده له . حتى إذا ما استنفد ما تيسر له من الأوصاف الجميلة ، وعبر عما فى نفسه من آلام الجفاء والصدود تخلص من هذا التغزل فى حبيبه إلى مدح حبيبه الأعظم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى أسلوب لا تشعر منه أنه انتقل إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم إلا فى آخر شطرة من الأبيات العشرة الأولى من كل حرف . وهناك يصرح باسمه ، أو بما يشعرك أنه انتقل لمدحه ، ثم يتمادى فى المدائح النبوية إلى نهاية البيت العشرين من القافية ، وهكذا دواليك فى كل حرف حتى ينتهى إلى آخر بيت من قافية الياء .

ومما زاد فى جمال هذه القصيدة أن صاحبها التزم أن يبدأ كل بيت من أبياتها بحرف القافية ويختمه به . فمثلا : قافية الباء ، يبتدئ كل بيت منها بحرف الباء ، ويختمه به ، وهكذا فى الدال والراء ، وفى كل حرف من حروف الهجاء التسعة والعشرين .

أما البُهلول فلم يلتزم هذه الطريقة ، بل اكتفى بابتداء تخميس البيت الأول من القافية بحرف القافية .

واسمعني أحدثك :

إن هذه القصيدة فى القمة من الشعر العربى : لغة فصيحة ، ومفردات مختارة ؛ وألفاظاً تساوى ما يحتاج إليه أداء المعنى ، وتناسقا يشدُّ معانى الأبيات بعضها إلى بعض . وهى إن دلت على شىء فإنما تدل على قوة شاعرية منشئها ، وتضلعه فى اللغة العربية .

وقد جاء الأستاذ البُهلول فى تخميس هذه القصيدة بالعجب العاجب : تعمقا فى اللغة ؛ وقوة فى التعبير ، واختيارا للألفاظ التى تتسق مع بيت القصيدة وتمتزج بمعناه امتزاجا يجعل من الصعب على كثير من الناس أن يفرقوا بين القصيدة وتخميسها لقوة المناسبة التى يأتى بها البُهلول للربط بين معنى التخميس وبيت القصيدة .

وقد اشتهرت هذه القصيدة التى خمسها الأستاذ البُهلول بـ(القصيـدة العياضية) والذى يتبادر لأول وهلة أنها للقاضى عياض قاضى المغرب [1] ، لأن له اليد الطولى فى كل فن ، وله قصب السبق فى الشعر والنثر وكل مايتصل بالأدب . وقد حاولت أن أتحقق من صحة نسبة هذه القصيدة للقاضى عياض ، فلم أهتد إلى ما يصحح هذه النسبة .

---

(١) هو عياض بن موسى اليحصبي السبتى ، صاحب الشفا ، وكثير من الكتب فى الدين وعلوم اللغة والنحو ، ولد فى سبتة فى شعبان سنة ٤٩٦ هـ . وتوفى فى جمادى الآخرة أو فى رمضان بمراكش سنة ٥٤٤ .

وقد تصفحت كتاب (أزهار الرياض فى أخبار عياض) للمقّرى ، وكتاب « نفح الطيب » بغية العثور على هذه القصيدة فلم أجدها فيهما .

وليس من البعيد عن الصواب أن تكون هذه القصيدة للقاضى عياض . ويرشح لصحة هذا الرأى أن القاضى عياضا شاعر ناثر ، ومن الطبقة الممتازة فى الأدب العربى . ويرشح له أيضاً جعل القصيدة على حروف الهجاء التسعة والعشرين ، وهى طريقة المغاربة . وعلى ترتيبهم أيضا ، فان ترتيبهم لها غير ترتيب المشارقة .

وقد أغرم الشعب الليبى بتخميس البُهلول للقصيدة العياضية ، فسماه (ديوانا) ولا غرو فى هذه التسمية ، فإن مجموع أبيات التخميس والقصيدة لا يقل عن ١٤٥٠ بيتاً ينقص بيت واحد بتخميسه من حرف الخاء ، وسماه بعضهم :

(ديوان سرّ باب الوصول ، لسيدى أحمد البُهلول ، المسمى بالدر الأصفى والزبرجد المصفّى ، فى مدح سيدنا محمد المصطفى) .

وقد اجتمعت فى القاهرة بالسيد غُلوم عبد الوهاب عباس من إخواننا العرب سكان البحرين وصاحب المكتبة الإسلامية بها ، فأخبرنى بأنهم يُعنَون بديوان البهلول عناية خاصة ، ويهتمون بمدائحه النبوية الجميلة .

ونحن إذ نقدم إلى قراء العربية ديوان البُهلول فى هذا الثوب الجديد : من الشكل الكامل ، والشرح لبعض مفرداته ، فإنما نضيف مجموعة من الأدب الليبى إلى ما نشر منه فى عدة دواوين ، نذكر منها : ديوان الأديب مصطفى بن زكرى ، وديوان الأستاذ «أحمد الشارف» ، وديوان الأديب «أحمد المهدوى» ، وديوان الأديب « عمر الأسطى » ومجموع هذه الدواوين يمثل جانبا كبيراً من

الأدب الليبي في القرون الأربعة الهجرية بعد الألف ، يضاف إلى هذه الدواوين بعض القصائد ، مثل قصيدة أحمد بن عبد الدائم الأنصارى التى ضمنها تاريخ طرابلس ، وشرحها ابن غلبون لما اشتملت عليه من الحوادث الطرابلسية ، ومن أسماء بعض رجالات طرابلس وحكامها وعلمائها .

وقد طبع ديوان البُهلول ثلاث طبعات فيما أعلم : الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣١١ هـ . والطبعة الثانية فى بومبئ الهند سنة ١٣١٣ هـ . والطبعة الثالثة فى مصر (بمطبعة صبيح) سنة ١٣٤٩ هـ .

ويظهر لى أن طبعة بومبئ اعتمدت على نسخة المطبعة الخيرية ، لأن ما يوجد فى إحداهما من الأغلاط يوجد فى الأخرى . أما طبعة صبيح فهى كثيرة الأغلاط والتحريف .

وقد اشتهر ديوان البُهلول بين محبي المدائح النبوية من الليبيين ، واتخذوا من شهر المولد النبوى ميعادا يجتمعون فيه ويقرأونه بالنغم والترتيل ، ليشنفوا أسماعهم بما فيه من المدائح النبوية ، وقسموه على الأيام الأولى من شهر المولد من أول يوم من الشهر إلى اليوم الثانى عشر منه وهو يوم المولد ، وفيه يختمون قراءة الديوان .. وبمناسبة يوم المولد ، وختم الديوان تبسط الموائد ، ويقدم من الأطعمة الفاخرة مالذ وطاب للذين قاموا بقراءة الديوان والمستمعين وغيرهم .

وقد يختار المادحون شطرة من كل قافية ، على أن تكون من الأبيات العشرة الأخيرة المخصصة لمدح النبى صلى الله عليه وسلم ويضيفون إلى هذه الشطرة :

صلاتك ربى والسـلام على الذى   أو
« « « على النبي

أو أى شطرة يستحسنونها ، يرددها السامعون بعد انتهاء القراء من كل تخميس ولنضرب مثلا لذلك : فنى حرف الهمز يقولون :

صلاتك ربى والسلام على الذى غدا عُدَّتى فى شِدَّتى ورخائى

وفى حرف الباء يقولون :

صلاتك ربى والسلام على النبى وذاك الذى أعـــددته لخطوبى

وعلى هذا القياس فى جميع قوافى الديوان وهى تسعة وعشرون قافية .

وطريقة الغزل التى اتبعها صاحب القصيدة العياضية ـ وخمسها الأستاذ السُهلول بنفس الطريقة ـ طريقة عربية قديمة ، يسلكها الشعراء العرب حينما يريدون مدح أحد ، فيتخيلون شخصاً يتغزلون فيه ، ويُضفُون عليه من أوصاف الجمال ما أمكنهم ، ثم يتخلصون إلى مدح من يريدون مدحه حقيقةً .

انظر إلى زهير بن أبى سُلمى حينما مدح النبى فى حضرته بقصيدته المشهورة :

بانت سُعاد فقلبي اليومَ متبولُ مُتيَّمٌ إثرها لم يُفدَ مَكبولُ

وما سُعادُ غداةَ البين إذ رحلوا إلا أغنُّ غضيضُ الطرف مكحول

هيفاء مقبـــلةً عجزاء مدبرةً لا يُشتكى قصرٌ منها ولا طولُ

وهذه القصيدة قالها زهير بن أبى سُلمى فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم يمدحه بها . واختار من بين أسماء النساء اسم « سعاد » ، وأفاض عليها من أوصاف الجمال ما توصف به كل حسناء . وبعد تسعة وثلاثين بيتاً منها تخلص إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

نُبِّئت أن رسول الله أوعدنى والعفوُ عند رسول الله مأمولُ

وكل هذا كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُصغى إليه ، وأقره على هذا الأسلوب من المدح ، بل جازاه عنه ، وأعطاه بردته .

وهذه الأوصاف الغزلية لايقصدون منها أن ذات المقصود بالمدح متصفة بهـا ، بل هى مقدمة تحتوى أوصافا جميلة لموصوف جميل ، لأن المقام مقام مدح وبسط يتسع لمثل هذه المنوعات الشعرية والأوصاف الخلقية الجميلة التى ترغب النفس فى سماع اسم المقصود بالمدح ، حتى إذا ما انتقل الشاعر إليه وقع منها موقع الاستحسان والرضا .

ومعاذ الله أن يقصد زهير بقوله : « هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة » ذات النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعاذ الله أن يُقر النبي صلى الله عليه وسلم زهيرا على أن يصفه بهذه الأوصاف النسائية . ولكنه أسلوب عربى ، درج عليه شعراء العرب فى أشعارهم حينما يريدون مدح إنسان ذى مكانة عزيزة عليهم .

وما ذهب إليه صاحب القصيدة العياضية فى قصيدته ، والأستاذ البُهلول فى تخميسها هو من هذا القبيل . . عادة عربية قديمة فى صميم اللغة العربية ؛ لا ينكرها إلا الحاقدون على اللغة العربية أو الجاهلون بأساليبها .

وما وضعته من شرح لبعض ألفاظ ديوان البُهلول إنما هو من قبيل (مالا يدرك كله لا يترك كله) . وقد يجد فيه القارئ ما يعينه على فهم بعض الألفاظ .

وقد بذلت جهدى لإصلاح مافى النسخة التى طبعنا عليها من أغلاط :

تارة بمقابلتها على غيرها من الطبعات الثلاثة التى عثرنا عليها . وتارة بالبحث على الكلمة غير المفهومة فى معاجم اللغة العربية . ولم أنبه على ما أصلحته من أغلاط لأن أكثره من الأغلاط المطبعية . والكمال لله وحده .

والله ولى التوفيق ، ومنه نستمد العون . ونسأله العزة لوطننا العزيز ؟

الطاهر الزاوى

ربيع الآخر سنة ١٣٨٦ هـ
أغسطس سنة ١٩٦٦ م

وهذا أول تخميس الأستاذ

البهلول للقصيدة العياضية :

المسمى (ديوان البُهلول)

قافيـــة الهمزة

تذوبُ اشتياقاً والفؤادُ بحسرةٍ   وفي طيّ أحشائي توقّدُ جمرةِ

حتّى ترجع الأحبابُ من طُول سَفرة   أحبّةَ قلبي علّلونى بنظـرةِ

فدائي جفاكم والوصالُ دوائي

رحلتم وخلّفتمُ فؤادي معذّبا   يهيمُ بكم بينَ المرابع والرُّبا

وفي كبدِي نارٌ تزيد تلهّبا   أحنُّ إليكم كلّما هبّتِ الصّبا[1]

فيزدادُ شوقي نحوكم وعنائي

عدمتُ نعيمي في هواكُم وراحتي   عساكُم تجودُوا أو ترقّوا لحالتي[2]

وما كان بُعدي عنكُم من إرادتي   أكابدُ أحزاني وفرطَ صبابتي[3]

ولم ترحموا ذلّي وطولَ بكائي

توحّتْ دموعي منْ بكائي عليكمُ   ولمَ تنظروا حالي وذلّي لديكمُ

وأسرُ فؤادي بالهوى في يديكمُ   أراعي نجومَ الليلِ شوقاً إليكمُ

وذاكَ لرُغبي[4] في الهوى وشقائي

---

(١) الصبا : ريح تهب من بين الشمال والشرق ترتاح إليها أرواح العشاق والمحبين . ليس فيها من الحرارة مايزيد شوقهم التهابا ، وليس فيها من البرودة مايطفئه .

(٢) تجودوا وترقوا : فعلان مضارعان منصوبان بأن مقدرة بعد عسى ، وهذا قليل في اللغة العربية . والكثير أن تذكر أن بعد عسى ، كما في القرءان (فعسى الله أن يأتي بالفتح) .

(٣) الصبابة : الشوق إلى الشيء ، ورقة الهوى ، والهوى : العشق وإرادة النفس وميلها إلى الشيء ، ومنها الصب ، وهو العاشق ، ذو الولع الشديد بمعشوقه .

(٤) مصدر رغب في الشيء إذا أراده .

إذا ماذَكرتُ الجزعَ والبانَ واللّوى[1] يَهيمُ غرامى بالصّبابةِ والجَوى
إلى اللهِ أشكو ما ألاقى مِنَ النّوَى أيا صاحبي كُنْ لي مُعيناً على الهوى

فَعُمرى به ولّى وعزّ عزائى

تَكدّرَ عَيشى بَعـد بُعدِ أحِبّتى وفارقنى مَن كانَ سُولى وَمُنيتى
أيا عاذِلَ المُشتاقِ دَعْنى بحَيْرتى أعرنى جُفُوناً لا تجِفُّ فمُقلَتى

رَقَا دَمعُهـا فاستُبْدلَتْ بدماء[2]

عَلِقتُ بأحْوَى[3] مالَه من مُماثِل حَكى غُصنَ بانٍ مائِسٍ فى غَلائل
إذا رُمتُ أسلُو عن حبيب مُماطِل أبى القلبُ أنْ يُصغى إلى قولِ عاذِل

ولَوّحَ بى فى غُدْوتى ومَسائى

تَرى العيشَ يَصفُو بينَ تلك المرابِعِ ويُطفِى لهيباً قَد ثَوى فى الأضالِعِ
وقَـدْ مرَّ عُمْرى ضائعاً فى المطامِعِ أُرجِّى وِصالاً من حَبيب مُمانِعِ

يُخيِّبُ عَمْـداً بالبِعادِ رَجائى

---

(١) أسماء أمكنة كلما تذكرها ذكر من كان فيها من أحبابه فيعاوده الشوق والحنين إلى لقائهم .

(٢) رقا الدمع : أصله رقأ مهموزا ، وحذفت الهمز للوزن . ومعنى رقأ : جف وسكن . والمعنى : أن دمع عيونه جف من كثرة بكائه على الأحباب . ونزل منها الدم بدل الدمع .

(٣) الحوة : من الألوان مركبة من لونين ، فهى سواد يميل إلى الخضرة ، وكثيرا ما يستعملها العشاق فى تغزلهم بمعشوقيهم .

حَبيبٌ مُقيمٌ فى فُــؤادٍ مُشَرَّدٍ وَشَوقى إلى خـير الأنام مُحَمَّد[١]
أُنادِى ودمعُ العَينِ فى الخدِّ مُسعِدى أما آنَ غىٌّ أن يزولَ فـأهتدى
إلى خَيرِ دانٍ فى الأَنام وناء[٢]

نَبىٌّ شفيعٌ حازَ كُلَّ الفضـائل به اُفْتخَرتْ أصحابُهُ فى القبـائل
وَقَـدْ ظهرتْ رَاياتُه بدَلَائل أجَلُّ الورى قَـدْراً وأصدقُ قائل
غَـدا عُـدَّتى فى شِدَّتى ورَخائى

فُؤادى الْمُعَنَّى يَشتكى فَـرْطَ صَبْرهِ وَجَفْنِى يُراعى مَطْلِعاً فى سُحَيْرِهِ[٣]
مَشُـوقاً لُمختارٍ يَسِـيرُ لِسيْرِهِ إمامٍ إذَا ضَاقَتْ شفاعَةُ غـيرِه
لَدى الحَشْرِ أَلفيناهُ رَحْبَ فِناء

أميلُ إلى ذَاكَ الحِمى وطَرِيقِه وأهفُـو لحَىّ المُنحَنى وفَرِيقِه
مَنَازِلُ بَدْرٍ قـد هَدى بشُرُوقِه أشارَ إلى الماءِ الأُجاجِ بِرِيقِه[٤]
فَعَادَ فُـراتاً فِيـه كُلُّ شِفاء

---

(١) من هنا تخلص إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ولم يشغله عن مدحه والشوق إليه تعلق فؤاده ببعض من يحبهم .

(٢) خيردان وناء : هو النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو دان من محبيه بذكره على ألسنتهم دائما ، واتباع شرعه وسنته يجعله دائماً ماثلا فى عقولهم . وهو ناء عنهم بجسمه ، فهو فى قبره بالمدينة المنورة ، وفى حياته البرزخية عليه الصلاة والسلام .

(٣) السحير : تصغير سحر ، وهو الوقت من الليل قبل الصبح .

(٤) مر النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الغزوات ببئر ماؤها ملح وقد عطش أصحابه فتمضمض بقليل من الماء ومجه فيها فعذبت .

لِبُعد المدى قَد أوقَدَ البينُ جَمرةً يُجدِّدُ وَجداً كُلَّ يوم وحَسرةً
وطولَ اشتِياقٍ للذى حَلّ حُجْرةً أما كَلَّمتْه ظَبيةُ الوَحْشِ جَهرةً[1]

أما أتحَفَ الأعمىٰ بِمُقلةِ راءِ[2]

سَأَلْتُكَ عُجْ نحو العقيق معَ الحِمىٰ وَسَلِّمْ على المبعوثِ إن كُنتَ مُغرَماً
نبيٌّ كَريمٍ لا يَزالُ مُعَظَّماً أما نَحْوَهُ جاءَ البَعيرُ مُسَلِّماً[3]

وشاهَدَ نُوراً مُشرقاً بِضياءِ

مُنائى منَ الدُّنيا أفوزُ بِقُربهِ عَسىٰ القلبُ يَبرأُ من حَرارةِ كَرْبه
سَلامٌ عَلى آلِ النبيِّ وَصَحبِه أطَاعَته أهلُ الأرض واسْتَبشَرتْ به

ملائكةٌ حينَ ارْتَقى لسَماءِ[4]

---

(١) جاء فى بعض الآثار أن الغزالة كلمت النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) أصيبت عين قتادة بن النعمان فى غزوة أحد ، فتدلت على وجهه ، فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فردها فى مكانها فبرأت ، وكانت أحسن عينيه .

وفى غزوة خيبر رمدت عينا سيدنا على رمداً شديداً ، فتفل فيهما النبي صلى الله عليه وسلم بشىء من ريقه ، فبرأتا فى الحال ، وكأنهما لم يكن بهما وجع .

(٣) جاء فى بعض الآثار أن جملا كلم النبي صلى الله عليه وسلم وآثار تكليم الغزالة والجمل ضعيفة .

(٤) يشير إلى مقابلة الملائكة له فى السماوات ليلة المعراج . فكانوا يرحبون به عند كل سماء ويقولون مرحبا به ولنعم المجىء جاء .

مَكارِمُهُ تُنبِيكَ عن طِيب أصــلِه وَراحتُه تُغْنِيكَ عَنْ سَحّ وَبْلِه[1]
وظُلمةُ أهْلِ الشِّرْكِ زالَتْ بِعَدله أقرَّتْ جَميعُ المرسَلين بفَضْلِه
وَنَاهِيكَ عن فَخْرٍ وحُسن سَناء

هَدَمنا به سُورَ الضَّلالِ وركْنَه وَقَد فَازَ عَبْدٌ فيـه حَقَّق ظَنَّـه
مُحيّاهُ مِثلُ البَدرِ تَنظرُ حُسنَه أَتِيهُ به عُجباً وأسْمُو لأنَّه
به شَاعَ شِعْرى فى الوَرَى وَثَنـائى

يَبِيتُ فُؤادِى المُستَهامُ بِهَمِّهِ ولا رَاحِمٌ يُبْرِيه من دَاء سُقمِه
وكُلُّ شِفاءٍ أن أُنادِىَ باسْمِه أَتَيتُ لَهُ مُسْتَشفِعاً بابْنِ عمِّه
وبَضْعَتِه والفِتْيَـةِ النُّجَباء

إلٰهى يَدُ العاصِى لِنحْوِكَ مَدَّها وَكَمْ خَلَّةٍ مقصودةَ لاَ تَرُدُّها
وتُبدِى لَهُ نَعْماءَ لَمْ يُحصَ عدُّها إليْكَ يدِى مَبْسُوطَةٌ لاَ تَرُدُّها
مِنَ العفو هَبْ لِى يا سَمِيعَ دعائى

دَعَوْنَاكَ بالهَادِى الشَّفيعِ مُحَمَّدٍ نَبِىِّ الهُدَى يَنْجو بِهِ كُلُّ مُهْتَدِى
مَحَبَّتُهُ ذُخرِى وَسُؤلِى ومَقْصِدى أَجِرنا جَميعاً من عذابِكَ سيِّدى
وَكُن مُسْتَجيباً سَامِعاً لدُعائى

---

(١) راحة الإنسان كفه . والسح : صب الماء وسيلانه من أعلى . والوبل ، والوابل : المطر الشديد . ولما كان الإعطاء بواسطة اليد نسب إليها الإعطاء على طريق المجاز ، وجعلها تدل على كرمه الكثير المتدفق كاندفاق المطر الغزير .

قافية البـــاء

بِسَقْطِ اللِّوى[1] صبٌّ حليفُ مَحَبَّةٍ مُقيمٌ وَمَن يهواهُ فى أرضِ غُربةِ
أقولُ لِمَن لَم يَحفظوا حقَّ صحبةٍ بَعيدٌ عَن المُشتاقِ عَودُ أحِبَّةِ
تناءَوْا فكانَ الصبرُ غيرَ قريبِ

مُقيمٌ مَدى دَهرى على حفظِ وُدِّهم وأبسُطُ كَفِّى راجياً نَيلَ رِفدِهِمْ
متى يأمنُ المشتاقُ من جَوْرِ صدِّهم بِقلبى غرامٌ لا يزالُ لبُعدِهِم
وقد زادَ حُزنى بعدَهُم ونَحيبى

خَليلَىَّ إن وافَيتُما ذلكَ الحِمَى فَعُوجا على وادى العقيقِ وسلِّما
وقُولا لهم عَنِّى لَقد شفَّنى الظَّما بَكَيتُ من الأشواقِ والهَجرِ عندما
جَعلتُم جَفاكُم والصدودَ نَصيبى

خَبأتُكُمُ ذُخرى لآخرِ مُدَّتى عَسَى أن تكونوا عُدَّتى عند شِدَّتى
نَسيتُم عهودى ثمَّ خُنتُم مَوَدَّتى بَقائى عَجيبٌ بَعدَكم يا أحِبَّتى
وليسَ فَنائى فيكُمُ بعجيبِ

عيونُ الورَى تَبرَا بِطبِّ طَبيبها كما بُرءُ عَينى نَظرةٌ من حَبيبها
ولى مُهجةٌ ذابَتْ بِحَرِّ لَهيبها بِأيَّامِنا بينَ الخيامِ وطيبها
قِفوا ساعةً فى رامةٍ وكَثيبِ[2]

---

(1) سقط اللوى : مكان من أمكنة الجزيرة العربية . وقد جاء ذكره فى قصيدة امرئ القيس :

قفا نَبْكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومنزلِ بسَقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحَوْمَلِ

(2) « رامة » و « كثيب » مكانان ببلاد العرب .

أحبتنا جدوا الرحيل وحملوا مطاياهم يوم النوى وترحلوا
أناديهم والجسم منى معلل بوقفتنا يوم الوداع تمهلوا
ليشفى محب من وداع حبيب

بكيت فلم تطف المدامع عبرتى ولم يصف عيشى بعدكم يا أحبتى
ألم ترحموا حزنى وشوقى ووحدتى بللت ردائى من مدامع مقلتى
ولم يطف دمعى زفرتى ولهيبى

سألتك بالرحمن يا حادى السرى أعد لأحيبابى حديثى وما جرى[1]
أراعى نجوم الليل فيكم مفكرا بروق الحمى لاحت لعينى وقد سرى
نسيم الصبا من نحوهم بهبوب

لأجلهم فى الحب روحى وهبتها ولله كم من ليلة قد سهرتها
ونيرانهم ليلا بعينى نظرتها بدت عند ما جن الظلام رأيتها
لموع سيوف جردت لحروب[2]

متى أنظر الحجاج يوماً على منى لعل ليالى الخيف تجمع بيننا
ويهدا فؤاد المستهام من العنا برانى الأسى حتى خفيت من الضنى[3]
وقد مل سقمى عائدى وطبيبى

---

(١) الحادى : الذى يغنى الإبل لتنشط فى السير . والسرى - بضم السين - سير الليل كله . وأحيبابى : تصغير أحباب ، جمع حبيب . والتصغير للتعظيم .
فالشاعر يحن إلى أحبابه ، ويسأل حادى الإبل الذى يسير الليل كله أن يبلغهم حديثه وما جرى له بعدهم من التألم لفراقهم .

(٢) لمع البرق لموعا ولماعاً : أضاء .

(٣) ليالى الخيف هى ليالى منى . والضنى : المرض . ضنى الرجل : تمكن منه الضعف والهزال .

ترحّل جيرانُ العقيقِ وخلّفوا مَدامعَ عيني فوقَ خدّى تَذرِفُ
أُناديهمُ يا راحلينَ توقّفوا بحِفظ ذِمامٍ للنبىّ تعطّفوا[1]
فذاكَ الذى أعددتُه لخُطوبى

تَبدّى بوجهٍ يُخجِلُ البدرَ لامعٍ سَما ليلةَ المعراجِ أسنَى المطالعِ
وليسَ له فى حُكمه مِن مُنازعٍ بَشيرٌ نذيرٌ كلَّ عاصٍ وطائعٍ
ومُنقِذُهُم من زَلّةٍ وذُنوب

إمامٌ لرُسْلِ الله يدعُو إلى الهُدىٰ سَليلُ خَليلِ الله ذُو الجود والنّدىٰ
كفيلٌ بإنقاذِ العُصاةِ من الرّدى به انبرَمَ العَهدُ الحنيفىُّ فاغتدى[2]
كعِقدٍ على جِيد الزّمانِ رَطيب

به كلّمَ اللهُ الكليمَ على طُوى فأغرقَ فرعونَ اللّعينَ لِمَا غوى
وأورَثهُ من مُلكه كلَّ ما احْتَوى بَدَا وخُيولُ الغَىّ تَركُض والهَوى
لها سائقٌ والرُشدُ غيرُ مُجيب

توَسّلْنا بالهاشمىّ حَبيبِنا به يغفرُ المَولَى جميعَ ذنوبِنا
ويَصفَحُ عن زَلّاتنا وعُيوبنا بشِرْعَته نجلُو الصّدا عن قُلوبِنا
ومَنْ مالَ عنها فهو غيرُ مُصيب

---

(١) من هنا تخلص الشاعر لمدح النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) أبرم الأمر ، وبرمه : أحكمه . والعهد الحنيفي : كناية عن العهود والمواثيق التي تقتضيها قواعد الإسلام وليس فيها ميل إلى غيره ، وقد انبرمت وأحكمت بوجود النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعتريها شك ولا خلل .

سَرى زائراً لمّا نأى عن سَريره   ونَالَ المُنَى مُستَبشراً لمسيره
ولم يَكُ هذا حائلاً فى ضميره   بِدَايَتُه كانَتْ نِهـايَةَ غَـيْره

وَما كلُّ محبُوبٍ كمثْلِ حَبيبى

ولمّا حبَـاهُ رَبُّه بالمـواهب   رَأى لَيْلَةَ الإسْرا أتمّ العجائب[1]
وَحفّتْ به الأملاكُ من كُلِّ جانب   بنُور هُداهُ يَهْتدى كلُّ طَالبِ

ويَهْدَا فُؤادى من جَوّى ونَحيب

تَرقّى إلى السّبع الطِّبَاقِ وقد دَنَا   فَنلْنا به أجراً وَحُزْنَا به دُنا
لَهُ العَلَمُ المنشورُ بالحمد والثّنا   بَلَغْتُ به سُؤْلا ونلتُ به مُنَى

وَما أنَا فى حُبِّى لَه بمُريب

لهُ طَلْعَةٌ من نُورها الشّمْسُ تَطْلعُ   رَؤُوفٌ رحيمٌ فى العُصَاة مُشفَّعُ
لعَلْيَـاهُ أربابُ المَنَاصب خُضّعُ   بَراهينُه أجْلَى مِنَ الشّمس فَاسْمَعُوا

مَقَالَ صَدُوقٍ فيـه غير كَذوب

---

(١) رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء عجائب كثيرة منها صلاته بالأنبياء فى بيت المقدس ، ومنها عروجه إلى السماء . ووصوله إلى سدرة المنتهى وغير هذا كثير . ومنها ترحيب الملائكة به عند كل سماء . وكانوا يقولون له : مرحبا به ولنعم المجيء جاء .

حَمَى دِينَنَا بِالمَشْرَفِيِّ المُهَنَّدِ   نَبِيٌّ بِهِ مِن ظُلْمَةِ الشِّرْكِ نَهْتَدِي[١]

هَنِيئاً لِمَن قَد زَارَ تُرْبَةَ أَحْمَدَ   بِمَدْحِي لَهُ أَرْجُو الشَّفَاعَةَ فِي غَدِ

فَكُنْ سَامِعِي يَاذَا العُلَى وَمُجِيبِي

---

(١) المشرفى : السيف . والسيوف المشرفية منسوبة إلى مشارف الشام وهى قرى من أرض العرب قريبة من الريف . والسيف المهند : المشحوذ ، المسنون .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم فى أول بعثته يدعو الناس بالحجة والبرهان ، ويقيم الدليل على صحة كل مايدعو إليه . ولما لج المشركون فى عنادهم ، وبعد أن قامت عليهم الحجة ، أذن له فى قتالهم بقوله تعالى : «أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير» ، فاستعمل السلاح لحماية دعوته . وكان يستجيب لكل من يريد الصلح إذا دخل فى الدعوة المحمدية ، أو تعهد بعدم التعرض لها .

قافية التاء

تمادى على هجرى فزاد مهابة فيوسف حاز الحسن عنه نهاية
ومن رمق لم يبق إلا صبابة تموت نفوس العاشقين صبابة[1]
وشوقاً ولا يقضى لها ما تمنت

زمانى تقضى والليالى تولت بهجر ولا وصل يبرد غلتى[2]
فواحسرتى حتى أموت بحسرتى تهنا عيون بالرقاد ومقلتى
تراعى الثريا بالكرى ما تهنت

له من فؤادى موضع ما أجله وليس له شبه ولم أر مثله
أجود بروحى وهو يمنع وصله ترجيت من أهوى وقلت لعله
يجود بوصل قبل أودع تربتى

نديمى بمن أهواه بالله غننى وهات كؤوس الراح صرفاً واسقنى
حبيب رمانى بالصدود وملنى تمادى على هجرى ويزعم أننى
سلوت وإن الموت من دون سلوتى

أبيت بطول الليل أرجو خياله وتطمع نفسى أن تنال وصاله
جميل وليس البدر يحكى جماله تجلى دلالا لاعدمت دلاله
وما ضره لو جاد يوماً بزورتى

---

(١) الصبابة ـ بضم الصاد ـ ما يبقى من الماء أو اللبن فى الكأس أو القدح بعد الشرب ، والصبابة ـ بفتح الصاد ـ الشوق إلى الشىء .

(٢) الغلة ـ بضم الغين ـ شدة العطش .

مَلُولٌ يَرَى قَتْلِي حَلَالًا لأنه عَلَيَّ أقامَ الحبَّ فَرضاً وَسَنَّه
وللعاشقِ المهجورِ يُخلفُ ظَنَّهُ تُميلُه خمرُ الصِّبا فكأنَّه
قضيبٌ أمالتْه الصَّباحينَ هبَّتِ[1]

أبيتُ وقلبي يشتكي حَرَّ نارِه لأجلِ رشيقٍ ينثنى فى إزارِهِ
يُحاكي زُهورَ الوَرْدِ عندَ احْمرارِه تَوردُ خدَّيه وآسُ عِذارِه
ونرجسُ عينيه سُؤالي وبُغيتي

لَهُ طلعةٌ كالبدرِ نُوراً إذا بَدَتْ وقامتُه مثلَ القضيبِ تأوَّدَتْ
محاسنُهُ لا تنقضي لو تعدَّدَتْ تألَّقَ نُورٌ من مُحيَّاه فاهتدَتْ
إليه عقولٌ في دُجَى الفرعِ ضَلَّتِ[2]

رشيقُ المعاني لا يُقاسُ بمثلِه له ناظرٌ يَرمي الفؤادَ بنبلِه
مُصرٌّ على هجرِ الحبيبِ وقتلِه تمنَّيتُ لو دامتْ مُدامةُ وَصْلِه
لأظفرَ منها كُلَّ يومٍ بسَكْرةِ

أيا عاذلي دَعْني وَمَن لو رأيتَهُ لَهِمْتَ اشتياقاً نَحْوَهُ وهوِيتَه
فَصَرِّحْ بذكري عندَهُ إن لقيتَهُ تحالَفَ وجدِي والغرامُ فليتَه
يَرِقُّ لِحالي في هَواهُ وذِلَّتي

---

(١) الصبا ـ بكسر الصاد ـ الفتوة والقوة . والصبا ـ بفتح الصاد ـ ريح لينة تهب بين الشمال والشرق .

(٢) الفرع : خصلة من الشعر ، ولشدة سوادها شبهها بسواد الليل ، وكانت هذه الخصلة من الشعر تغطي وجهه ، ولما أزيلت عن وجهه بدا وجهه كأنه نور فرآه كل من كان محجوباً عنه . والكلام على معنى التشبيه والمجاز .

تَمكّنَ في الأحشاء كُلّ التَّمكُّن وصَافَيتُهُ في الوُدّ من كُلّ مُمكِن
ولما رَأيتُ العُمرَ في الصَّدّ قد فَنِي تَغزّلتُ في شعري به غَيرَ أنّني
رَجَعتُ إلى مَدحِ النّبيِّ بِهِمّتي [1]

هُوَ المصطَفَى حَقاً لقد شُرّف اسمُهُ وقد جلّ عن وَصفٍ وَقَد تَمّ رَسمُهُ
نَبيٌّ كريمٌ قد تَعاظمَ حُكمُهُ تَلَوتُ به مَدحاً حَكى الشَّهدَ طَعمُهُ
وأنفَعُ ما يَبرَا به داء علّتي

هُو البَدرُ وافَى طالعاً في سُعُوده عَزيزٌ ولا يعبا بكَيدِ حَسُودِهِ
لَهُ المنصبُ [2] الأعلى كريمٌ بجُوده تَبَارَكَ مَن أهدى لَهُ من جُنُودِهِ
مَلائكةً عن نَصره مَا تخلّت [3]

بآياته كُلُّ القُلوب قَد اهتدَت وَأنوارُهُ نَارَ الضَّلالَةِ أخمَدَت
وَمنهُ جُيوش الشّرك خَوفاً تشَرّدَت تَرَقّى على مَتنِ البُراق [4] وقد غَدَت
به عَن مَقَامات الرّضَا مَا تعدّت

---

(١) من هنا تخلص إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) يريد بالمنصب : الحسب ، وشرف الأصل وكرم المحتد .

(٣) أرسل الله الملائكة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من معركة : في بدر وحنين وغيرهما .

(٤) قال العلماء : البراق دابة أعلى من البغل ودون الفرس . وهو الذى ركبه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس . أما عروجه إلى السماء فكان بغير البراق .

يقولون مغلوب أذى وهو غالب وقد سلبوا أرواحهم وهو سالب
أتى ببراق فى الدجى وهو راكب تسير به من مكة وهو طالب
إلى المسجد الأقصى إلى حيث حلت

غرامى به لا ينقضى وهو دائم به أمنت عرب الورى والأعاجم
لقد زاد حبى فيه والقلب هائم تباهى به بين الملائك آدم
وقال بهذا يقبل الله توبتى

أمين لوحى الله أفضل مرسل غرامى به صدقاً بغير تجمل
أتى جهرة بين الملائك ينجلى تراهم قياماً حوله بتهلل
وهمته فوق العلى قد ترقت

شفيع الورى فى موته وحياته وملتنا قد أحرزت بحماته
يدل على تقديمه بصفاته تواترت الأخبار فى معجزاته
وما زال فينا شرعه غير ميت

عساكره منصورة تملأ الفضا وأعداؤه مقهورة ساقها القضا
فقد نال من رب العلى غاية الرضا تمكن فى عز النبوة فانتضى
سيوفاً لأعداء الشريعة سلت

أجل الورى قدراً وأصدق لهجة ولولاه لم نعرف صلاة وحجة
لقد زجه جبريل فى النور زجة[1] تلألأ بالأنوار فازداد بهجة
عليه سلامى دائماً وتحيتى

---

(١) فى ليلة الإسراء والمعراج ، وعند سدرة المنتهى فوق السماء السابعة ، وقف جبريل ، وقال له تقدم يا محمد . فقال له هاهنا يترك الحبيب حبيبه . فقال جبريل وما منا إلا له مقام معلوم . وهناك غشيت الأنوار القدسية نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم وسمع الخطاب الإلهى ، وفرضت عليه الصلوات الخمس .

قافية الثاء

ثيابُ الضَنى قد جُدّدت لبعادكم   فزيدُوا سَقامى إنْ يكُن من مُرادكم
تهنَّيتُموا دُونى بطيب رُقادكم   ثكلتُ فُؤادى إن سَلا عن وِدادكم
وهيهاتَ يسْلُو والهوى فيه عابثُ

أعلّلُ نفسى بالمُنى لَنْ يُفيدَها   تمنٍ ولا يَقضى الزّمانُ وُعودها
لِفقد الذى أهوى عدِمتُ وُجودها   ثيابُ الأسى عندى لَبستُ جَديدَها
وبُردُ اصطبارى عنهُ رثٌّ وماكثُ

أحبتنا لا أوحشَ الله منكمُ   أهنتمْ محبًّا فى الهوى لم يهنكمُ
مُقيماً على ذاكَ الوفَا لمْ يخُنكمُ   ثبوتاً وحقِّ الحُبِّ ما حَالَ عنكمُ
ومَا هُو فى تلكَ الأليّة حانثُ

سَرَوْا وفُؤادى سائرٌ فى المحامل   وفَيضُ دُموعى كالسّحاب الهوامل
وَقَفتُ وما رَقُّوا لوَقفة سائل   ثقيلٌ على سَمْعى مَقالةُ عاذل
يُجادلنى فى سَلْوَتى ويُباحثُ

جَعلتُ هواكُمْ عقْدَ دينى ومَذهبى   ومُذ رَحَلُوا عنّى تكدّرَ مَشرَبى[1]
وَما عَلموا من أجْلهم مَا يحلُّ بى   ثلاثُ خصال جُمّعتْ فى معذّبى
مَلولٌ طويلُ الهَجْر للعهد نَاكثُ[2]

---

(١) عقد دينى ومذهبى : ضمانهما من الزيغ .

(٢) الملول . من يجعل غيره يتبرم به ويمله . فالشاعر يشكو من حبيبه ثلاث خصال يقسو عليه حتى يمله ويتبرم به ، ويطيل هجره حتى ييأس من وصله . وينكث عهوده التى يرتبط بها معه ، ويعده فيها بالوصل وعدم الهجر فلا يفى بشىء منها .

أصونُ هَواهُ في الحَشَا وأُكاتمُ   وأُنصِفُ مَن لم يُنصفني وَهْوَ ظَالمُ
أبيتُ وَطَرْفي سَاهرٌ وهو نائمُ   ثوى في فُؤادي حبُّه وَهْوَ دائمُ
وَلَم يكُ عندي للتَّصبُّر بَاعثُ

هَوِيتُ حَبيباً قَد جَفَاني وَمَلَّني   وَقَد عزَّ في حُكم الهَوى وأذلَّني
نَهاني عذُولي قُلتُ بالله خلِّني   ثَنَيْتُ عِنانَ الصَّبر عَنهُ كأنَّني
بكثرة أشواقي ليَعقوبَ وَارثُ[1]

غَزالٌ لقَلبي بالملاحة أدهشا   وَغُصنُ نقاً في رَوْضَة القَلْب قد نشا
يُحاكي قَضيبَ الخيزُران إذا مشى   ثِمارُ هَوَاه أينعَتْ وَهْو في الحشا
مَحبةُ قلبي أصلُها وهو لابثُ

فَتَى مَا تهنّا لَيْلَةَ برقاده   يَبيتُ ونارُ الشّوق ملْءُ فُؤاده
يحُسّ كبار الشوك حَشوَ وسَاده   ثَبتُّ على حفظي لعهد وِداده
مُقيمٌ ولو جَارَتْ عَلَيَّ الحوَادثُ

عَسى رَحْمَةٌ منكُمْ لمن ضَلَّ هائماً   حَزيناً مُعَنًّى يقرعُ السنَّ نَادماً
وَقَدْ بات مَنْ يَهوى مِنَ الوَجْد سَالماً   ثَناياهُ للإعْراض تبْسِمُ دائماً
وَعند التّداني عابسٌ ومُرابثُ[2]

---

(١) يعقوب والد سيدنا يوسف عليهما السلام . وقد حزن على فراق سيدنا يوسف ، وصبر حتى صار يضرب بصبره المثل . والشاعر يقول : صبرت على هجر حبيبي حتى كأنني ورثت يعقوب في الصبر . ولكن الله جازى يعقوب على صبره فرد عليه يوسف . وهل وصل الله هذا المحب بحبيبه جزاء صبره ؟

(٢) يصف الشاعر حبيبه بأنه سالم من الوجد عليه ، يعني لا يتأثر من فراقه . وفي حال إعراضه وبعده عنه يبتسم ولا يرى عليه أثر حزن . وعندما يدنو منه يعبس بوجهه ، ويربث . أي يمنع نفسه من التحدث إليه والانبساط معه .

حُرِمْتُ رُقادى وَهْــو غيرُ مُسَهَّدِ ... وَيَقْصِدُ قَتْلى فى الهَوَى بتعمُّدِ
لقد ملّ سَمْعى من مَقَالِ مُفَنِّدى ... ثَنى عَزْمَتى عَن حُبِّهِ مَدْحُ سَيِّدِ[1]
أتانا بصِــدْقٍ لَا كَمَا قَالَ نافثُ

نَبِيٌّ عظيمٌ قد تَعَاظَمَ قَــدْرُهُ ... فُؤادى المُعَنَّى فيه قَدْ قَلَّ صَبْرُهُ
لَهُ المنصِبُ الأعْلى لَقَــدْ زادَ فَخْرُهُ ... ثَرَاهُ غدًا كالمِسْكِ إذْ فاحَ نَشْرُهُ
وَيَاحَبَّذا طيبٌ به وهْو مَاكِثُ

نَبِيٌّ كَرِيمٌ حازَ علماً وَسُؤْدُدا ... عَلَوْنا به فَخراً عَلى سَائِر العِــدَا
مَحَبَّتُه تَجْلُو القلوبَ مِنَ الصَّدَا ... ثِقَاتٌ رَوَوْا أنّ النّبيَّ مُحَمّدًا
هُو الشّافِعُ الهادى وإنْ جَلّ حَادِثُ

تُرَى أنظرُ الوادى وَأحْظَى بقُرْبِهِ ... ويَبْرُدُ قَلبى من حَرَارة كَرْبِهِ
وأبْلُغُ مَقصُودى بلَثْمى لِتُربِهِ ... ثَمِلْتُ به سُــكْراً وَبُحْتُ بِحُبِّهِ
وأثْمَل قَلبى بالغَرام عَوابثُ[2]

تَبَــارَكَ رَبٌّ خَصَّنَا بوُجُوده ... رَؤُوفٌ رَحِيمٌ صَــادقٌ بوُعُوده
هَــدَانَا وَأحْيَانَا بخَيْرِ عَبيده ... ثَجَاجُ غَوادى الجَوْدِ من سُحْبِ جُودِه
حَياً أمْطَرَتْهُ رَاحتاهُ الدّواهِثُ[3]

---

(١) من هذا البيت تخلص الشاعر إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الثمل . من أخذ فيه السكر حتى فقد توازنه . والغرام . الولوع بالشيء ، والحب المعذب لصاحبه . والعوابث جمع عابثة . والعابث من يستخف بالأمور ، ويشتغل بما لا فائدة فيه . والمعنى أنه شغل بحب حبيبه وأغراه به العابثون حتى فقد شعوره .

(٣) الجود ـ بفتح الجيم ـ المطر الغزير . والدواهث : الدوافع ، دهثه . دفعه . وراحة النبي صلى الله عليه وسلم يندفع منها الجود اندفاعا كاندفاع المطر الغزير لأنه لا يرد سائلا .

به قد أمِنَّا حالةَ البُؤس والعنَا ... وَنلنا به جاهاً مَع القصْد والمُنَى
نَبىٌّ له الآياتُ تَشهَدُ بالثَّنا ... ثَنَائى به بَاقٍ وفَقرى هوَ الغنى
وَمن حُبِّه حملت قلبى بواعثُ[1]

وَقفنا جَميعاً كُلنا عندَ بابه ... نَرُومُ من الرَّحمٰن نَيْلَ ثَوَابه
وَنأمَنُ فى يَوْم اللقَا منْ عقابه ... ثَناءُ النبىِّ المصطفَى قَد أتَى به
لَنا كلُّ مَبْعُوث قديمٌ وَحادثُ

عَلَوتُ بِمَدْحى وامْتداح مُحَمَّد ... عُلُوًّا به قَد نلتُ غايةَ مَقْصدى
مَعاجزه[2] منْ كَثْرة لم تُعدَّدِ ... ثَواقبُ مَجْدٍ قَد رمَتْ كلَّ مُلْحد
لَها شَرَرٌ فيها المنَايَا مَوَاكثُ

حَمَانا بحدِّ المشْرَفىِّ المُهنّد ... وَنلنا به جَاهاً وَفُزْنَا بسُؤْدُد
أتَى فى حَديث بالرِّوايَة مُسْنَد ... ثَوابٌ لمن يَصْغى لمدْح مُحَمَّد
بسَمْع وقلب وهْو عَن ذاكَ باحثُ

به قُبلَتْ عندَ الإلٰه صَلاتُنا ... وقَد مُحِيَتْ عَنَّا به سَيِّآتُنا
وزَادَتْ بفَضْل المصْطَفَى حَسَنَاتُنا ... ثقُوا بالذى حَلَّتْ به طَيِّبَاتُنا
كما حُرِّمَتْ شَرْعاً علَيْنا الخَبَائثُ[3]

---

(١) هكذا فى الأصول التى بأيدينا ، وهى غير واضحة المعنى .
(٢) يريد أن معجزاته كثيرة . والمعجزة . الأمر الذى لا يمكن للغير الإتيان بمثله .
(٣) يشير إلى قوله تعالى . « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » .

قافية الجيم

جَفانىَ أحبَّائى وجَارُوا بصدّهِمْ وصَافيْتُهمْ وُدّى وَفاء لعَهْدهِمْ
شَرَحْتُ لهمْ مَا حل بى بَعْدَ فَقْدهِمْ جرى دَمْعُ عَيْنى واسْتَهلّ لبُعْدهِمْ
غَدَاةَ النوّى لمّا سرَوْا بالهوَادج

أحبّةُ قلبى فَارَقُونى وَحَمّلُوا مَطَايَاهُمُ والجسْمُ مُضْنًى مُعَلّلُ
وَمَاذَا عَلَيْهِمْ سَاعَةً لوَ تمهّلُوا جزِعْتُ ليوم البَيْن لمّا ترحَّلُوا
وذُبْتُ اشْتياقاً من زفيرِ اللّواعج[1]

أيا صَاحبى سرْ بى إلى نَحْوِ سرْبِهِمْ لأكحَل أجفانى بإثمِد تُربِهِمْ
لحَانى عَذولى قُلْتُ دَعْنى أمُتْ بِهِم جَعلْتُ لهم خَدّى وِطاء لرَكْبِهِم
وسَار فؤادى تَابِعاً للهَوَادج

هَواهُمْ مُقيمٌ فى الجوانح قَدْ ثَوَى وجسْمى سَقيمٌ قَدْ أضرّ به النّوى
وغُصْنُ شَبابى بالقَطيعة قد ذوَى جَزى اللهُ خيْراً جيرَةَ الحىِّ واللّوى
وَمَنْ حلّ فى نَجْدٍ وَرَمْلَةِ أعالج

أيا سائقَ الأظعان مَهْلاً برَكْبِهم وَخُذْ مَاء عيْنى وَاذخرهُ لشُرْبِهِمْ
دُمُوعُ مُحبٍّ قَلْبهُ هَائم بهمْ جُننْتُ اشتياقاً من تَوَلّع حُبِّهمْ
وضَاعَ فُؤادى بيْنَ سَلْعٍ وضَارج

---

(١) لعج الحب الفؤاد : استحر فى القلب واللواعج : جمع لاعجة ، وهى ما يحس به فى قلبه من حرارة الشوق إلى الحبيب ، فتسبب له زفيرا يكاد يحرق به قلبه .

وبلّغ سلامي إنْ وصلتَ مسلِّماً على ساكن الجرعاء من أيمن الحمى
وإني بهم مازلتُ صبّاً متيّماً جفاني الكرى لم يهنني النومُ عندما
فنيتُ بحبِّ الغانيات الدّواعج (١)

وقفتُ ذليلاً مستجيراً ببذلهم وقوفَ مطيع راجياً نيلَ رِفدهم
وإن صرموا حبلي وثقتُ بحبلهم جنحتُ لهم علّي أفوزُ بوصلهم
وأحظى بربّات الحُلى والدّمالج (٢)

عشيّةَ ساروا واستقلّوا بنجبهم وقلبي المعنّى لم يزلْ مغرماً بهم
وما بغيتي إلاّ أفوزُ بقربهم جهلتُ هواهم واعترفتُ بحبهم
وما كنتُ في بحر الغرام بوالج (٣)

جلابيبُ صبري في الهوى قد تمزّقتْ ولي كبدٌ من حزنها قد تحرّقتْ
وطولَ الليالي مقلتي قد تأرّقتْ جمعتْ همومي في الهوى وتفرّقتْ
مدامعُ عيني واللّقا غيرُ رائج

---

(١) الغانيات : جمع غانية ؛ وهي من استغنت بجمالها عن التزين بالحلي والملابس الفاخرة ، وإذا تزينت بشيء من ذلك ، فإنما هو لإشباع رغبتها . ويقال : إن زبيدة امرأة الرشيد كانت تضع اللؤلؤ والجواهر في قبقابها الذي في رجلها ، ولا تعلقها في عنقها والدعج والدّعجة . شدة سواد العين مع سعتها . والدعجاء : العين الواسعة شديدة السواد . وصاحب العين الدعجاء يقال له أدعج ، والدواعج - في البيت - يريد بها الشاعر النساء ذوات العيون الدعج .

(٢) الدمالج : جمع دملج ، وهو السوار الذي تلبسه المرأة في يدها . ويقال له في ليبيا « الدبلج » .

(٣) الولوج : الدخول ، والوالج الداخل .

هَوِيتُ غزالاً للملاحة قد حوى   أهيمُ به ما بَيْنَ رامَةَ واللّوى
وقد باتَ قلبى يشتكى أَلَمَ الجوىٰ   جرعتُ كؤوسَ الحبِّ من خمرة الهوىَ
سَكِرتُ بها صِرْفاً بغير مُمازج

أروحُ بجهلى فى المعاصى وأغتدى   وألهو ورأسُ المال قد ضاع من يدى
ولمّا رأيتُ النفسَ للوعظ تهتدى   جلوتُ عروساً من مديح محمّد[1]
بها صحَّ نُجْحى فى جميع الحوائج

غدونا نجدُّ السيرَ نحوَ ضريحه   تعطّرتِ الأكوانُ من طيب ريحه
روى مسلمٌ أوصافَه فى صحيحه   جواهرُ درٍّ نُظِمَت فى مديحه
يُزيِّنُ نظمى ما حوتْ من تباهج[2]

لقد زادَهُ الرحمنُ فضلاً بمنّه   وفازَ من المولى بتحقيق ظنّه
ومَنْ ذا لَهُ فنٌّ سواه كفنّه   جميلٌ يكِلُّ الوصفُ عن نعت حسنه
له رتبةٌ تسمو بكلّ المناهج

تباركَ ربٌّ خصّنا بوصوله   خليلٌ جليلُ القدرِ وابنُ خليله
جميلُ المعانى عمّنا بجميله   جنابى قوىٌّ لم يزلْ بدليله
على لائمى فى حبّه ومُحاجِجى

---

(١) من هنا تخلص إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) البهجة : الحسن . يريد أن ما اشتمل عليه نظمه من أوصاف حبيبه وهو النبى صلى الله عليه وسلم يزيده بهجة وحسنا .

حَبِيبٌ عَلَىٰ قُربِ المزَار ونَأْيِه   جَوادٌ إذا صَبَّ السَّما بمِيائه [1]
تَرَاهَا وُقُــوفاً لُوَّذاً بِفِنــائه   جَمِيعُ البَرَايَا تَحْتَ ظِلِّ لِوَائه
لَقَدْ ظَفِرُوا بالقُرب منْ ذِى المعارج

دَوَا غُصَّتِى والغَصُّ يُبْـلِى إذا ثَوى   وشَوْقِى مُقِيمٌ فى الجوَارح قَدْ نَوىٰ
إلى نَحْوِ مَن حَازَ المكَارِمَ واحْتَوىٰ   جلَا كُلَّ قَلْب من صَدَا ظُلْمَة الهَوىٰ
وَقَدْ نُتِجَتْ بالحقِّ أعلىٰ النتــائج

أحنُّ إلى خَيْرِ الوَرَىٰ وَصَدِيقِه   ومُؤْنِســه فى غَارِه ورَفِيقِــه
به تَمَّ نُورُ البَــدْرِ عنــدَ شُرُوقِه   جَنَى الشَّهْدِ جُزءٌ من حَلَاوَةِ رِيقِه
وأعرافُه تَـتْرَىٰ بمِسْكِ النَّوافج [2]

رِقابُ العِــدَا مُنْقَادَةٌ لِمُرَادِه   إذا صَالَ يَوْماً فى الوَغَىٰ بِجِيَادِه
به يُنقَــذُ العاصِى غَداً فى مَعَادِه   جَلِيلٌ عَظِيمُ القَدْرِ عِنْدَ وِلَادِه
ثَوَاقِبُ شُهْبٍ أُرْسِلَتْ نَحْوَ مَارِج [3]

---

(١) الأصل قلب همزة الماء هاء، فتقول فى جمعه مياه. ولكنه أتى فى الجمع بالأصل وهو الهمز لموافقة القافية .

(٢) أعرافه : جمع عرف - بفتح العين - وهو الريح الطيبة . وتترى : تتتابع . والنوافج : جمع نافجة ، وهى وعاء المسك .

(٣) ثقب الكوكب : أضاء ، والشهاب الثاقب : هو الذى ترمى به الشياطين حينما يريدون استراق السمع مما يتحدث به الملائكة فى السماء . والمارج : نار لا دخان لها . ويريد به هنا الشيطان لأنه خلق من مارج من نار « وخلق الجانّ من مارج من نار » . يقول . إنه بمولد النبى صلى الله عليه وسلم حالت الشهب بين الشياطين وبين استراق السمع من السماء : كما حكى الله ذلك بقوله . « وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » .

عَزِيزٌ كَرِيمٌ مَالَهُ من مُمَاثل   حَقَائقهُ لم تُبْقِ قَولاً يَاطل
نُبُوَّتهُ حَازَتْ جَمِيعَ الفضَائل   جَرَىٰ حُبُّهُ مَجْرَى دَمِى فى مفَاصلى
وَما هُوَ عَن سرِّ الضَمير بخَارج

غناه غنى دائمٌ فى قَناعة   وَمَدْحى لَه فى الحشر خيرُ بِضَاعَةِ
لَعَلِّى به أحظَى بخَير شَفَاعة   جَوَازِ عليه كُلَّ يَومٍ وسَاعَةِ
تَحيَّةُ ربِّ كاشفِ الضرِّ فارج

حكى جؤذراً بين الجوانح راتعـا وغصن نقاً فى روضة القلب يانعا
فرشت له خدى على الأرض واضعا حبيب رأى ذلى وقد جئت خاضعا
فأعرض عنى وهو ناء عن الصلح

لقد عذب التسهيد طرف محبه ونار غرام لا تزال بقلبه
يرى سقمى وهو العليم بطبه حرصت على أنى أفوز بقربه
ويمنحنى وصلا فما جاد بالمنح

عليل وسيف الهجر قد فـؤاده إذا رام وصلا لا يروم مراده
ولما جفانى واشتكيت بعاده حلفت يميناً لا سلوت وداده
حقيقاً ومالى فى يمينى من فسح

أرى الدمع من عينى على الخد قد همى وحب غرامى فى الحشا قد تضرما
ويقلقنى ليــلا إذا ما ترنمـا حمـام حمى عن مقلتى النوم عندما
دعا إلفـه ما بين رامة والسفح

ولمـا حدا الحادى سحيراً وزمزما(١) تذكرت عيشاً بالحمى قـد تقدما
أقول ودمع العين فى الخد قد همى حمى الله سكان الحمى وسقى الحمى
بوابل دمعى فهو يغنى عن السيح(٢)

---

(١) الزمزمة : الصوت البعيد له دوى متتابع . يريد أن الحادى زمزم بصوته للإبل من بعيد . والمقصود هنا هو صوت الحادى الذى يجعل الإبل تسرع فى مشيها .

(٢) الحمى : ما يحميه الإنسان من أن ينتفع به الغير . والمراد من الحمى هنا مساكن أحبابه ومحل إقامتهم . . والسيح الماء الجارى على وجه الأرض . فهو من كثرة بكائه على فراق أحبابه يرى أن كثرة دموعه تغنى مساكن أحبابه عن الماء السائح على وجه الأرض .

عدمتُ اصطباري حينَ سَارتْ نياقُهُمْ وقدْ ضاقَ صَدرى حينَ جدَّ مَساقُهُمْ
بُدورٌ وفى يوْم الرَّحيل محاقُهُمْ حَسِبْتُ دوامَ الوَصْلِ لولَا فراقُهُمْ
رمَى الجفنَ والأحشاءَ بالسُّهد والقرْح

أما عندَهمْ علمٌ بما القلبُ جَنّهُ ولم يرْحَمُوا منْ باتَ يَقْرعُ سنّهُ
يرومُ اللّقَا والبُعْدُ يخلفُ ظنّهُ حَذِرْتُ من الإعْراض مَا قُلتُ إنّهُ
يَؤُولُ إلى جِدّ وقد كانَ فى مَزْح

رعَى الله مَنْ لم يَرْعَ لى حَقَّ صُحبَة وإن كانَ وُدّى صَادقاً بمحبّة
أناديهم من فَرْط حُزن وكُرْبَة حَرَامٌ عَلَىّ العيشُ بعْدَ أحبّة
رَمَوْا فى فؤادى نارَ وَجْد بلَا قَدْح

أموتُ اشتياقاً ثمّ أحْيَى بذكْرهمْ وأكتُم مَا ألقاهُ صَوناً لسرّهمْ
رمَوْنى بسَهم الغَدْر من فَوْق غَدْرهمْ حُسامُ اصْطبارى فُلّ من دِرع هَجْرهمْ
وشاهدُ سُقم الحُبّ يُغْنى عَن الشّرْح

عَذُولىَ دَعْنى قَـدْ عدمتُ تلذُّذى فمَا أنتَ لى يوماً من البَيْن مُنقذى
إذا هَبّ من ذاك الحمَى عرفُه الشّذِى حَدَوْنا مَطَايَانا مُجدّين للذى
جَعلْناهُ رأسَ المَالِ للفَوز والرّبْح

به المسجدُ الأقصى زهَا وبقاعُــهُ وكانَ إلى السّبْع الطّباق ارتفاعُهُ [٢]
لزامٌ علَيْنَا حُبّــهُ واتبـاعُه حَلا مَدحُه عندى ولَذّ سَماعُهُ
فمَـادَ لسـانى لا يَمَلُّ من المدْح

---

(١) من هنا تخلص الشاعر إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .
(٢) يشير إلى عروجه إلى السماوات ليلة الإسراء .

جَوادٌ بكفّيه المكارمُ والنّـدىٰ   ولولاهُ لم نعرفْ إلى الحقّ مُرشدا
تَرقّى مقاماً جاوزَ الحدّ والمدى   حفيظٌ دعانا من ضلالٍ إلىٰ هُدىٰ
كما يُهتدىٰ من ظُلمة الليل بالصّبح

نَحوتُ به لمّا سلكتُ محجّةً   وُخضتُ بحاراً فى الغرام ولُجّةً
مدحتُ بها المَبعوثَ للناس حُجّةً   حكى وجهُهُ الشمسَ المُنيرة بَهجةً
وأعرافه كالمسك فى النّشر والنّفح[1]

لقد فازَ من قدْ زارَ تُربةَ سيّد   وقد نالَ من ربِّ العُلا كلَّ مقصد
ولولاهُ لم نسمعْ أذاناً بمسجد   حمدتُ سماعى لامتداح مُحمّد
وذاكَ سَبيلُ الحقّ والرُّشد والنّجح

ضِرام[2] لنا والشركُ من نُوره خبَا   فما استعذبُوا عيْشاً هنيئاً ومشربا
لهُ تنشرُ الأعلامُ شرقاً ومغربا   حمىٰ ديننَا بالمشرفيّة والظُّبا
وقدْ جاء نَصرُ الله يُؤْذِنُ بالفتح

لأمّته هَادٍ كثيرُ التودّد   تفيضُ مياهُ الجُودِ من كفّه النّدِى
ظَهرْنا به عزّاً علىٰ كُلّ مُعتدٍ   حججنا وزُرنا قبرَ أفضل سيّد
هَدانا إلى طُرق الهدايَة بالنُّصْح

---

(١) نفح الطيب : فاح .

(٢) ضرمت النار : اشتعلت . وأضرمها : أشعلها . والضرام الذى أشار إليه الشاعر . يشبه ما كان يعيش فيه العالم قبل البعثة المحمدية من جهالة وفوضى ، وما يشعر به بعض أهل العقول المفكرين من حيرة لعدم اهتدائهم إلى خالق هذا الوجود .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم محى بنور تعاليمه السامية ما كان فيه العالم من شرك وجهالة وفوضى ، وأزاح عن عقول المفكرين تلك الحيرة بما أوضح لهم من الدلائل على وجود خالق هذا الكون العظيم .

بِهِ افتخرتْ أنصارُهُ وحُماتُهُ تَبَاهَوْا بِهِ لمَّا بدتْ معجزاتُهُ
كريمُ السَّجايا منْجزاتٌ عِداتُهُ(١) حليمٌ زكتْ أخلاقُهُ وصفاتُهُ
يجودُ على ذي الجهلِ بالعفوِ والصَّفحِ

عطوفٌ رؤوفٌ حازَ علماً وسُؤْدُدا له الشَّرفُ الأعلى مُقيمٌ على الهُدى
بأنوارِهِ من ظُلمةِ اللّيلِ يُهتَدى حنيني إليهِ لا يزالُ مُؤبَّدا
أبيتُ بهِ من فرطِ وجْدي كما أُضحي

بِشرعتهِ تهدا القلوبُ وتهتدي وتحيا وتحظى بالنَّعيمِ المُجدَّدِ
نبيٌّ حوى فخراً بأطيبِ مولدِ حثثنا نِياقَ الشّوقِ نحوَ مُحمّدِ
وقلنا عسى أن نُدركَ النُّورَ باللَّمحِ

---

(١) العدات : جمع عدة ، وهى ما يعد به عليه الصلاة والسلام . فإنه إذا وعد لا يخلف . والوفاء بالوعد من أبرز صفاته عليه السلام .

قافيـة الخـاء

خليليّ دمْعي فوق خــدّىَّ قد مشَى بحُبِّ غزالٍ فى رُبَا القَلْب قد نشَا
أقولُ لأَهْلِ الحُبِّ والقَوْلُ قَدْ فشَا خذوا حِذْرَكُمْ فالحِبُّ[1] فى رُقْعةِ الحشَا
يَجُولُ بها فى الطُّول والعَرْض كالرُّخّ

أُرجِّى شِـفائِى من حَبيبٍ أعلَّـنى وقَدْ ضاقَ ذرْعاً من شِفَائى ومَلّنى
أبا عَاذِلِى كُفَّ المـلامَ فإنَّنى خلَعتُ عِذارى فى هَوى مَنْ أذَلّنى
وأَوْقَعنى كالطَّيْرِ فى حلَقِ الفَخّ

بَعثْتُ نِيـاقَ الشّوقِ تَسْرى مُجِدّةً وأَبحُرَ دَمعى للعُيُـون مُمِدَّةً
وحَبْـلَ اشْـتياقٍ للحَبيب مُمَـدّة خَئُونٌ لعـهْدى لا يُراعى مَودَّةً
تجنَّى فأفنَيْتَ المدامعَ بالنَّضْخ

عَذُولى لحَـانى فى الحَبيبِ المُهاجرِ ومَا ضرّهُ لو كان فى الحُبِّ عَاذرى
أقولُ ودَمْعى كالبِحار الزّواخِرِ خَلاَ منهُ طَرْفى لَا خَلاَ منهُ خاطرى
فأمليتُ وَجداً ليس يُحصرُ بالنّسْخ

---

(١) الحب ـ بكسر الحاء ـ : المحبوب . والحشى هو ما فى جوف الإنسان من كبد وقلب وغيرهما . وأكثرها مصادر لإحساس الانسان وشعوره . ورقعة الحشى : ما تشغله هذه الأعضاء من جوف الإنسان . وقد استولى محبوبه على جميع الحشى يجول فيه طولا وعرضا

أُعلّلُ قلبي بالّذي لا يُفيدُني   وأَطمعُ في وصلِ الّذي لا يُريدُني
إليه غرامي لا يَزالُ يَقُودُني   خليلي جفا لولا خيالٌ يزورني
فلو زارَ شخصًا كانَ بخًّا على بخٍّ[1]

يلومونني في حُبِّ بدرٍ تحجّبا   إذا رُمتُ منه القُربَ زادَ تعتُّبا
ملولٌ لوصلي لم يزلْ متجنّبا   خسِرتُ شبابي ما أفادني الصِّبا
بعيشٍ تقضّى والشّبيبةُ في شرخِ[2]

عدمتُ سروري حينَ شدُّوا الحدائجا[3]   وقدْ فرّقوا يومَ الرّحيلِ الهوادجا
ولمْ ألقَ لي من شدّةِ البينِ فارجا[4]   خيالي وشوقي صارمًا لي لاعجا
حكى الجمرَ في وقدٍ إذا هيجَ بالنّفخ

سرى حبُّهم ما بينَ لحمي وأعظُمي   فبتُّ من البلوى بقلبٍ متيَّمِ[5]
ترى نلتقي بينَ المقامِ وزمزمِ   خطوبُ اللّيالي قدْ رمتني بأسهمِ
أصابتْ فؤادي كالرَّميّةِ عنْ بَذخ[6]

---

(١) بخ : كلمة استحسان ، تقال لمن أتى بفعل حسن . والخاء تخفف وتشدد مع الكسر ، وتسكن . فهو يشكو جفا خليله ، ولا يزوره إلا في الخيال ، ولو زاره بشخصه لكان أحسن وأحسن .

(٢) الشبيبة ، والشباب : بمعنى . وشرخ الشباب : أوله .

(٣) الحدائج : جمع حدج ، وهو الحمل . يريد أنه فقد سروره حينما شد أحبابه أحمالهم ورحلوا .

(٤) فارج : اسم فاعل من فرج الثلاثي . تقول : فرج الله الهم : كشفه ، فهو فارج .

(٥) التيم : العبد . وتيمه الحب : جعله عبدا ذليلا لمحبوبه .

(٦) البدخ ـ بالدال المهملة ـ التكبر والتعاظم يقول إن صروف الليالي أصابت فؤادي كما تصاب الرمية ، تكبرا منها عليّ وتعاظما .

أَلَمَّ بنا يَوْمَ الفراق نَدامَةٌ ودامت علينا بالصدود مُدامَةٌ
رَأَيْنَا وَقَدْ لاَحَ الكثيبُ وَرَامَةٌ خَمِيلَةَ (١) طَلْح قدرقتْها حَمامَةٌ
تَنُوحُ على إلفٍ وتَبْكى على فرْخ

وَمُوجَعَةُ الأحْشاء تبكى تَجَلُّدًا وَتُخفى غراماً فى الفؤاد مُؤَبَّدًا
جَعلْتُ لها سَجْعى عَلى النوح مُسْعِدًا خَطَبْتُ فَأَصْغَتْ إذ مَدَحْتُ مُحَمَّدًا (٢)
وَتَاهَتْ به مِمّا اعْتَرَاهَا من البَذْخ

حِمَاهُ مَنِيعٌ كُلُّنا تَحتَ ظلِّهِ جَوادٌ إذا مَنَّ السَّحابُ بِوَبْلِه
وَلَمْ يَكُ فى الكَوْنَيْنِ خَلْقٌ كمِثْله خِصَالُهُ عَبَّرْنَ عَن كُنْه فَضْله
بآياتِ صِدْقٍ لاَ تُبَدَّلُ بالنَّسْخ

نَذيرٌ بآيات بَشيرٌ برَحْمَة وَقَدْ خَصَّهُ البَارى بعزٍّ وَنِعْمَة
وَطَهَّرَهُ من كُلِّ عَيْب وَنِقْمة خَصائصُهُ فَازَتْ بها كُلُّ أُمَّة
فَمِنها سَرِىٌّ والجُنَيْدُ معَ الكَرْخى (٣)

نُبُوَّتُهُ قَدْ أَطْلَعَ اللهُ فَخْرَهَا وَأُمَّتَه قَدْ ضَاعَفَ اللهُ أَجْرَهَا
وَخَفَّفَ عَنها فى القِيامَة وِزْرَها خَلاَئِقُهُ قَدْ عَظَّمَ اللهُ قَدْرَها
بِعِقْد نظام لَيْسَ يُنقَضُ بالفَسْخ

---

(١) الخميلة : الشجر الكثير الملتف . والطلح : شجر كبير معروف .
(٢) من هنا تخلص لمدح النبى صلى الله عليه وسلم .
(٣) هؤلاء الأساتذة الثلاثة من أكابر الصوفية .

لَهُ طَلْعَةٌ كَالشَّمْسِ تَجلو إذا بدَتْ . كَمِشْكَاةِ نُورٍ بالبهاء تَوَقَّدتْ
وَكُلُّ الأعادى منهُ خَوْفاً تشرَّدتْ خلتْ أُمَّةٌ قدْ خالَفتْ وَتَمرَّدتْ (١)

فَباءوا مِنَ الجبَّارِ بالخَسْفِ والمَسْخِ

سَمَا مَجْـــدُهُ بينَ الأنامِ وَفَخْرُهُ وقَـدْ جلَّ مِن بينِ البَرِيَّةِ قَدْرُهُ
لَهُ المَنصِبُ الأعلى لقَـدْ تمَّ نَصْرُهُ خِتامٌ وَإنْ كانَ المقدَّمَ ذِكْرُهُ

أخيرٌ وَإنْ كانَ المبْدَأَ فى النَّسخ (٢)

تَبـاهَى به بَيْنَ الأنامِ عَشِيرُهُ وَكانَ على مَتْنِ البُراقِ مَسِـــيرُهُ
إلى المــلإِ الأعْلى وتَمَّ سُرورُهُ خَبَتْ نارُ أهلِ الشِّرْكِ إذْ لاحَ نورُهُ

وإيوانُ كِسْرَى انقَضَّ مِنْ شِدَّةِ الرَّسْخِ (٣)

---

(١) خلت : ذهبت وهلكت .

(٢) يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم متأخر فى المبعث والإرسال ، لأنه أرسل آخر الأنبياء ، ولكنه فى الحقيقة متقدم ، ومبدأ على كل الأنبياء ، ومعنى مبدأ فى النسخ : أنه كان من المفهوم أن يبعث قبل من تقدمه من الأنبياء حيث إنه متقدم عليهم فى الرتبة . ولكن تأخر ليكون خاتم المرسلين ، فكأن تأخر بعثته نسخ تقدمه الحسى مع بقاء تقدمه المعنوى .

(٣) لما ولد النبى صلى الله عليه وسلم خبت نار فارس ، أى انطفأت . وفارس كانوا مجوسا يعبدون النار ، وقد مر على نارهم مئات السنين ولم تطفأ ، وفارس هى التى نسميها الآن إيران . وكسرى ملك الفرس ، وإيوانه ، قصره ، انصدع ليلة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وسقطت منه عدة شرفات ، مع أنه كان محكم البناء .

مَتَى يَسْتَرِيحُ القَلْبُ والشَّوْقُ هَزُّهُ إلَى مَنْ بِهِ الإِسْلَامُ قَدْ نَالَ عِزَّهُ
هُوَ الكَنْزُ يَا طُوبَى لِمَنْ كَانَ كَنْزَهُ خَصِيمٌ بِإعْجَازٍ لِمَنْ ظَنَّ عَجْزَهُ
وَلَيْسَ بِسَقْطٍ فِى الجِدَالِ وَلَا شَمْخِ[1]

مَتَى نَلْتَقِى بِالْهَاشِمِىِّ وَصَحْبِهِ وَنَبْلُغُ مَا نَرْجُوهُ مِنْ رِفْدِ قُرْبِهِ
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُعْطَى الأَمَانَ فَلُذْ بِهِ خَبِيرٌ يُرَاعِى المُؤْمِنِينَ بِقَلْبِهِ
وَقَلْبُ الَّذِى يَنْسَاهُ فِى النَّارِ فِى الطَّبْخِ

رَضِىٌّ وَكَانَ المُرْتَضَى مِنْ حُمَاتِهِ وَقَدْ كَانَتِ الزَّهْرَاءُ خَيْرَ بَنَاتِهِ
بِهِ يُدْرِكُ العَاصِى طَرِيقَ نَجَاتِهِ خَطِيرٌ جَلِيلُ القَدْرِ هَامُ عِدَاتِهِ
مُهَيَّأَةٌ فِى الحَرْبِ لِلْقَطْعِ وَالشَّدْخِ[2]

حَبِيبٌ عَلَى قُرْبِ المَزَارِ وَبُعْدِهِ كَرِيمُ السَّجَايَا لَا كَرِيمٌ بِرِفْدِهِ
مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ مِنْ بَعْضِ جُنْدِهِ[3] خُلَاصَةُ تِبْرِ الكَوْنِ جَوْهَرُ عِقْدِهِ
سَمَا فَهْوَ فِى رَأْسِ الرِّيَاسَةِ كَالمُخِّ

---

(١) من هنا تخلص لمدح النبى صلى الله عليه وسلم . وليس بسقط فى الجدال ، أى عاجز ولاشمخ ، أى متكبر .

(٢) الهامة ، رأس كل شىء . وهامة الانسان ، رأسه ، يريد أن رؤوس أعدائه مهيأة للقطع إذا ما نازلوه الحرب .

(٣) حاربت الملائكة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر وحنين وغيرهما .

قافيـــة الدال

دع العيس يا حادى الركائب واتئد   وها مقلتى العبرا فخذ ماءها ورد
لحانى عذولى قلت دعنى ولا تزد   دعانى هوى الظبى الغرير ولم أجد[1]
سلوا فأسلوه ولا عنه من بد

حبيب عزيز لم يجد لمحبه   بساعة وصل قبل يقضى بنحبه
نحول بجسمى وهو دار بطبه   دليل غرامى فرط سقمى بحبه
وإنى على ودى وماحلت عن عهدى[2]

أكاتم وجدى فى الهوى كى أصونه   بمن فرض الحب المصون وسنه
على العاشق المضنى ولم ير حزنه   دمى شاهد فى وجنتى لأنه
ظلوم على العشاق يجنى ويستعدى

هويت فأبرانى[3] الهوى وأعادنى   وأطمعت نفسى مطمعا ما أفادنى
غزال بأشراك المحبة صادنى   دنوت فأقصانى بعدت فوادنى
بعادا فويلى من دنو ومن بعد

تلاشى سلوى إذ غدا الوجد ناميا   وصبرى ورائى والغرام أماميا
سيفنى الهوى جسمى ويبلى عظاميا   دموعى عليه لا تزال دواميا
وفى كبدى للبين وجد على وجد

---

(1) الغرير : الشاب لا تجربة له .

(2) ما حلت : ما تحولت عن عهدى لهم ، وما زلت متمسكا به .

(3) أبرانى الهوى . أسقمنى ونحل جسمى ، وأصله برانى ، ثلاثى الفعل ، وأدخل عليه الهمز لضرورة الشعر

حَبيبٌ هَواهُ بَيْنَ جَنْبَىَّ خَيَّما سَقانى بكاساتِ القَطيعَة عَلْقَمَا
على مُهْجتى حَكَّمْتُهُ فتحكَّمَا دَلالاً به قَدْ زدتُ غيًّا وإنَّما
أرى الغَىَّ فى حُبِّى له غايَةَ الرُّشْد

عَذُولِىَ (١) مَا قَلْبى وقَلْبُكَ بالسَّوا تَلومُ مُحِبًّا قَدْ أضرَّ به الجَوى
فُؤادى عَلى حُبِّ الحبيب قَدْ انطَوى دَعُوا عَذْلَ مَن لم يَسْمَعِ العذلَ فى الهوى
فإنَّ ملامَ الصَّبِّ جَهْدٌ على جَهْد

أحِبَّتُنا خَانُوا العُهودَ ولم أخُنْ وهجْرانُهمْ صَعبٌ علىَّ ولم يَهُنْ
لَقَد صُنتُ سِرَّ الحُبِّ والدَّمعُ لَمْ يَصُنْ دِيارٌ خلَتْ من سَاكنِيها ولَم يَكُنْ
لنا منهُمُ غَيرُ القَطيعَة والبُعْد

حَمامَةُ أعْلَى الدَّوْحَتين تَرَنَّمتْ وأحْشاؤُها من نَار وَجْد تَضَرَّمتْ
أقولُ وَقَدْ نَادَتْ أسًى وَتَظَلَّمَتْ دُهوراً وأزْماناً مَضَتْ وَتَصَرَّمَتْ
بشَوْقٍ وما يُغْنى التَّشَوُّقُ أو يُجدى

لِطُولِ جَفاكُمْ قَدْ تجافَيْتُ مَرْقَدى وَقَدْ مَلَّ سَمْعى ما يَقُولُ مُفَنِّدى
ولَمَّا وَهَى صَبْرى وَقَلَّ تجَلُّدى دَعَوتُ إلهى بالنَّبِىِّ مُحَمَّدِ
يُخَفِّفُ عَنِّى مَالَقِيتُ مَنَ الوَجْد (٢)

---

(١) العذل . الملامة . والعذول ، من يلوم المحبين على حبهم .
(٢) من هنا تخلص لمدح النبى صلى الله عليه وسلم .

لَقَدْ شَرُفَ البيْتَ العَتيقَ وزَمْزَماً وَلوْلَاهُ مَا حَجَّ الحَجيجُ وأَحْرَمَا
لَبِسْنَا به ثَوْباً من العزِّ مُعْلَمَا[1] دَلِيلُ الوَرَى هادى القُلُوبِ منَ العَمَى
وَسَيِّدُ قَوْمٍ سَادَ بالفَخْرِ والمجْدِ

لَهُ حَجَّتِ الرُّكبانُ من كُلِّ جانب جَميعاً أَتَوْا من شَرْقها والمغَارب
لَقَدْ ظَفِرُوا من رَبِّهِمْ بالمطَالب دَلَائلُهُ قدْ أعجزَتْ كُلَّ طَالب
وينْفَدُ نَبْتُ الأرْضِ وَالبَحْرُ فى المدِّ[2]

أُصلِّى علَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ وَأَبتَدِى بذكْرِ عَتيقٍ وَالفتَى منْ بَنِى عَدِى[3]
وَعُثْمانَ ثُمَّ المُرتَضَى نعْمَ مَنْ هُدِى دوَامُ سُرورِى فى مَدِيحِى لِأَحْمَدِ
عَلَى دائِمِ الأوقاتِ بالشُّكْرِ وَالحَمْدِ

تَرَقَّى إلى أعْلَى المقَامَاتِ وَانْتهى إلى سِدْرةٍ وازْدَادَ عِزّاً وَقَدْ زَهَا
عَلَى كُلِّ خَلْقِ اللهِ بالنُّورِ والبَهَا دَعَائِمُ للتَّقْوَى أُقِيمَتْ وَقَدْ وَهَى
مِنَ الشِّرْكِ رُكْنٌ لَا يُقَامُ من الهَدِّ

---

(١) الثوب المعلم : الذى فيه علامات وخطوط . يريد أن المسلمين عزوا بوجود النبي صلى الله عليه وسلم عزا واضحاً لاشك فيه . وضرب مثلا بالثوب الذى فيه خطوط لأنه يقع عليه النظر لأول وهلة .

(٢) يريد أن دلائل كماله ومعجزاته كثيرة ، فلو أراد الانسان حصرها ، واتخذ نبات الأرض أقلاما ، والبحر مداداً انفدت الأقلام والبحر قبل أن يحصى كمالاته صلى الله عليه وسلم .

(٣) العتيق : أبو بكر الصديق . والفتى من بنى عدى : عمر بن الخطاب . وعثمان ابن عفان . والمرتضى : على بن أبى طالب . رضى الله عنهم أجمعين .

نَبِيٌّ به تَسمو العُلَا والمكارمُ بَدَا أولًا فى الأنبيا وهو خاتَمُ
أُحِلَّتْ له بالمُرْهَفَاتِ الغنائمُ دواعِى الهَوى قد فرَّقتها عزائم
بهمَّتِهِ العَلْياء مُذْ كانَ فى المهْدِ

شَرِيعتُه من بينِنا لا تَبَدَّلُ بآياتِهِ جاء الكتابُ المُنَزَّلُ
عَلى رأسِه جاء الغمامُ مُظَلِّلُ دنَا من مَقَام القُرب وَهُو مُبَجَّلُ[1]
ويَا حَبَّذَا من زائرٍ فازَ بالقَصْدِ

سَعى نحوَه جبْرِيلُ سَعْىَ مُبادِرِ وسَارَ به أكرِمْ به من مُسَافِرِ
دنَا من مكانٍ جاءهُ غيرَ زائرِ دُنُوَّ اختصاصٍ لا دُنُوَّ مُجاوِرِ[2]
لَقَدْ نالَ من ذى العَرْش مَا حازَ من عَهْدِ

لأمَّتِه كَمْ منحَة قَدْ أنالَهَا وكَمْ عَثْرَةٍ للمُذنبينَ أقالَهَا
بِهِ طَيْبَةٌ قد شُرِّفَتْ إذ أتى لَهَا دَفائنُ حقدٍ فى القُلوب أزالَهَا[3]
لَهُ خُلُقٌ قَدْ زَانَهُ الصِّدْقُ فى الوَعْدِ

---

(١) الغمام : جمع غمامة . وقد ظللته الغمامة وهو سائر أكثر من مرة . وحينما سافر للشام مع عمه أبى طالب ظللته الغمامة ورآها بحيرا الراهب تظلله فعرف أنه النبى الذى سيبعث آخر الأنبياء ، وأوصى عمه بالمحافظة عليه وكان شابا إذ ذاك ، وخصوصا من اليهود . ومقام القرب : هو ما حصل له ليلة المعراج حينما زج به فى النور الإلهى ، الذى نوه عنه القرآن بقوله : « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى » .

(٢) يريد : أن الله قربه منه قرب اختصاص وتشريف لا قرب مكان . لأن الله منزه عن المكان والزمان .

(٣) طيبة : المدينة المنورة . وكانت بين سكانها من الأوس والخزرج أحقاد متأصلة فأزالها بالإصلاح بينهم .

شَفاعَتُهُ تُرجَى إذا الأرضُ زُلزِلَتْ وَضاقَتْ عَلى العَاصِى أمورٌ وَأعضَلَتْ
لِيَوم تَرى السَّبعَ الطِّباقَ تَبدَّلَتْ(١) دُجى ظُلَمِ الشِّرْكِ البَهِيمِ قَد انْجَلَتْ
بِبَدرِ هُدًى قَد لَاحَ فى طَالعِ السَّعْدِ

حَقيقٌ عَلى المُشتاقِ يُوفى بِنَذرِهِ إذا طَافَ بالْبيتِ العتيقِ وَحِجرِهِ
وَعِندَ رَسولِ الله جَبرٌ لِكَسْرِهِ دَواءٌ لِمُشتَاقٍ زِيارَةُ قَبرِهِ
فَزُرْهُ لِتَحظَى بِالجِنانِ مَعَ الخُلْدِ

---

(١) السبع الطباق ، هى السموات السبع قال الله تعالى : « الذى خلق سبع سموات طباقاً » والسموات طباق يطابق بعضها بعضا . واليوم الذى تتبدل فيه السموات هو يوم القيامة « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » . ونحن نؤمن بأنها سموات سبع ، وأنها طباق تصديقاً للقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وهى موجودة فى هذا الفضاء السحيق الذى لم يهتد العلم بعد إلى استكناه ما يحويه . ، ونحن على مثل اليقين من أنه إذا قدر للعلم أن يتوصل إلى حقيقتها ، فسيجدها مثل ما قال القرآن لا محالة « سبع سموات طباقا » وإنا لمنتظرون .

قافية الذال

فَرِ العَذْلَ عَنِّى يا عَذُولُ فَمُقْلَتِى تَفيضُ دماً من فَرْطِ حُزنى وحَسْرَتى
ولَمَّا نأى مَنْ كان سُؤلى وبُغْيتى ذَمَمْتُ حياتى حينَ بانُوا أحبتى[1]
ولَمْ يَبْقَ لى عَيْشٌ به أَتَلذَّذُ

هَوِيتُ حبيبًا حازَ قلبى بأسرِهِ إذا رامَ أمْرًا لاَخِلاَفَ لأمْرِهِ
أقولُ وقَدْ ذابَ الفُؤادُ بهَجْرِهِ ذَلِلْتُ لمن أهواهُ صَوناً لِسِرِّه
لَعلَّ صَدًى فى القَلْبِ بالقُرْبِ يُشحَذُ

كَئِيبٌ مُعَنًّى لاَيَرِقُّ أنينُهُ إلى نحو مَنْ يَهْوَاهُ زادَ حَنِينُهُ
بحُبِّ غزالٍ قد سَبَتْهُ عيونُهُ ذَوائبُه لَيْلٌ وصُبْحٌ جَبينُهُ
وعَارِضُهُ نَبْتٌ حكاهُ الزَّبَرْجَدُ

أُعلِّلُ قَلْبى منهُ لى بزيارَةٍ وَأُطمِعُ نَفْسى تارَةً بَعْدَ تارةِ
أُنادِى وَفى قَلبى لَهِيبُ شرارةٍ ذَوَى غُصْنى وَاعْتلَّ بعدَ نَضارَةِ
وَعَزْمى إلى نَحْوِ الاحبةِ يَجْبِذُ[2]

أحبّتُنا قَدْ صَيَّرُوا الشَّوْقَ زَادنَا وَقَدْ مَنَعُونَا أن نَذُوقَ رُقَادَنَا
وَلَمَّا أطالُوا هَجْرَنا وَبِعادَنَا ذَكَرْتُ أُناساً قَدْ تَناسَوْا وِدَادَنَا
وَلَمْ يَكُ لى من صَدْعَةِ البَيْنِ مُنقِذُ

---

(١) نأى: بعد. وبانوا: انفصلوا عنه وفارقوه.

(٢) يجبذ: بمعنى يجذب.

لقد نهشتنى حيــةُ البَيْنِ نَهْشةً وَبِى بَطَشَ الوَجْدُ المُبرِّحُ بَطْشةً
وَقد نلتُ من يوم التفرق دَهْشةً ذَهَلتُ ليوم البَيْنِ فازداد وَحْشةً
وَإنِّى بِهِـمْ من جَوْرِهِمْ أتعـوَّذُ

شَكَوتُ لعُـذَّالى أليمَ توجُّعى فما رَحِمُوا ذُلِّى لَهُم وَتَخَضُّعِى
أقـولُ وَلِى جَفْنٌ قريحٌ بأدْمُعى ذَرُوا العَتْبَ عَنِّى وَالمَلامَ فَمَسْمَعِى
إلى العَتْبِ لايَصْغَى وَللنَّوم يَنْبِذُ

خَلَتْ دارُ مَن أهْوى وغَابَتْ بُدُورُهَا وضاقَتْ نَواحِيهَا وأظلَمَ نُورُهَا
وَلمَّا رأيتُ العِيسَ قَدْ جَدَّ سَيْرُهَا ذكَتْ نارُ حُزْنى وَاسْتَمرَّ زَفيرُهَا
وَسَهْمُ الهوى يُصْمِى الفُؤَادَ فَيَنفُذُ

عُوَيْذِلَتى[1] لَا تُسْقِمينى بعَذْلِكِ رُوَيْداً فانَّ العذلَ لَاشكَّ مُهْلِكِى
وَما أنا سَالٍ عن غَرامى لأجْلِكِ ذَهَبْتُ ولَا أدرى إلى أىِّ مَسْلَكِ
يَسيرُ فُؤَادى أوْ إلى أينَ يـأْخُذُ

أرى العيسَ تَشْتاقُ الحِمَى والملاعِبَا وَقَدْ أخذَ الحَادى عَنِ الغَوْرِ جَانِبَا
وَقَدْ شَيَّبَ الهِجْرانُ مِنِّى الذَّوائِبَا ذَوَارِفُ دَمْعى لَا تَزالُ سَوَاكِبَا
ولَا رَاحَةٌ تُرجَى ولَا مُتَلَذَّذُ

(١) العويذلة : تصغير عاذلة ، وهى التى تلومه لتهالكه فى الحب . والتصغير لتحقيرها لأنها تعذله .

لَقَدْ شرَّفَ اللهُ البِقاعَ وَطَيبةً بِمَنْ حلّ في الإسْرا فُنوناً غَريبةً
وَحُجْرتُهُ عَيْنِي تَراهَا قَرِيبةً ذِلالاً[1] لِمَن أَحيَى قُلوبًا مُقيمةً
وَكُلُّ فُؤادٍ للأعادِي مُجَذَّذُ[2]

تُرَى أُدرِكُ المَطلوبَ مِن نَيلِ مَقصدِي وَأَحْظَى بِمن قَد سَادَ عَن كُلِّ سَيِّدِ
لَهُ الشَّرفُ العَالي بِفَخرٍ وسُؤْدُدٍ ذُكاءُ بَدتْ من نُورِ وَجْهِ مُحَمَّدِ[3]
وَإنِّي بِهَا من ظُلْمَةٍ مُتَعَوِّذُ

لِتيجَانِ أَهْلِ الشِّرْكِ مازالَ قامِعاً بِنُورِ هُدًى قَدْ جاءَ بالحَقِّ صَادِعاً
وَلِي حُسْنُ ظَنٍّ لَم أَزَلْ فيهِ طَامِعًا ذُنوبِيَ تُمْحَى بالذي رُمْتُ شافِعاً
وَلِلمُذْنِبِ الجَاني مِنَ النَّارِ مُنْقِذُ

أَيا سَعْدُ حُثَّ العِيسَ إن كُنتَ مُسْعِدِي إلَى خَيْرِ مَبْعُوثٍ وَأَكْرَمِ سَيِّدِ
فَقِفْ وَاسْتَمِعْ شِعْراً كَدُرٍّ مُنَضَّدٍ ذَخائِرُهُ قَد أُعْدِدَتْ لِمُحَمَّدِ
وَذاكَ سَبِيلٌ للنَّجاةِ ومَأْخَذُ

مُنَايَ وسُؤْلِي وَقْفَةٌ عِنْدَ بابِهِ أُعَفِّرُ خَدِّي سَاعَةً فِي تُرَابِهِ
لِتَظْفَرَ رُوحِي بالمُنَى مِنْ ثَوابِهِ ذُرَى مَجدِهِ تَعلُو وَعِزٌّ جَنَابِهِ
مَنِيعُ الحِمَى مِنْ حَوْلِهِ الخَلْقُ لُوَّذُ

---

(١) ذلالا : جمع ذليل ، منصوب على الحال . تصور مع نفسه جماعة متذللين لمن أحيى القلوب المقيمة على حبه وهو النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) مجذذ : مقطع قطعاً صغيرة .

(٣) ذكاء : من أسماء الشمس . يقول : إن الشمس أخذت نورها من نور وجه النبي صلى الله عليه وسلم . ومن هنا تخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم .

أوامرُ كُلِّ الأنبيا تحت أمره وهُمْ أنجمٌ لمّا بدا نورُ بدره
معاذُنُ وحيٍ وهو معدنُ سِرّه ذَوُوالجاه والأقدار من تحت قدره
وأمرٌ له كالسّهم بل هو أنفذُ

أبيتُ وحادى العِيس فى حثّ ناقتى تجاوزَ مِنْ وَجدى بها فوقَ طاقتى
إلى نحوِ مَن أرجو به حلَّ عاقتِى[1] ذَخرتُ مديحى فيه يبقَى لِفاقَتى
لأنّى فقيرٌ للشفاعةِ أشحذُ[2]

نَبيٌّ تسامَى فى الأنام بمجده وكُلُّ البرايا ترتجى نيلَ رِفْدِه[3]
لقد ضاءتِ الآفاق من نور سعْده ذوو الكفر قد ذلّوا لعزّةِ مجده
فلم يبقَ ذو حقدٍ ولم يبقَ جِهبِذُ[4]

أقولُ مقالًا للأنام مُبيّنـا لمن يفهمُ المعنى حقيقاً مُعيّنـا
كلاماً بتوفيق الإله مُزيّنـا ذهولٌ لمن قد قالَ إنّ نبيّنـا
به جِنّةٌ أو مِنهُ وهمٌ يُشعبِذُ[5]

أحنُّ إلى ذاكَ الجَنابِ وتُربِهِ وأبدأُ بذكرِ الهاشمىِّ وصحبِه
سعادتُنا تمّتْ عليه بقُربه ذُراه منيعٌ كُلُّنا نحتمِى به
وأمرٌ مطاعٌ عنهُ يُروَى ويؤخَذُ

---

(١) يريد بكلمة عاقتى : مايعوقه عن قضاء مصالحه .

(٢) الشحذ : الإلحاح فى السؤال . والشحاذ : السائل الملح فى سؤاله ، فهو شحاذ ملح فى سؤال شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم . وقد تربت يمين من لايكون شحاذاً مثله .

(٣) الرفد : العطاء والصلة .

(٤) ضاقت الآفاق بمن لم يوفقوا إلى اتباعه واستمروا فى عنادهم . ولما لم يجد الكفار مخرجا من الضيق الذى أصابهم خضعوا لعزته عليه الصلاة والسلام والجهبذ ـ بكسر الجيم والباء ـ النقاد الخبير .

(٥) المشعبذ : المشعوذ ، والشعوذة خفة فى اليد ، ونوع من السحر يرى الشىء بغير ما عليه أصله فى رأى العين .

قافيـــة الراء

روت خبراً ريح الصبا إذ سرت به ... لصب هوى نجد يطير بلبه
يقول ونيران الأسى حشو قلبه ... رعى الله من هام الفؤاد بحبه
وإن خان عهدي واستمر على غدري

لئن كان من أهواه في الحب يرتضى ... بقتلي فإني قد رضيت بما رضي
فلا تجزعي يا نفس قد كان ما مضى ... رجائي بأن أحظى به قبل ينقضي(1)
زماني ويفنى العمر بالصد والهجر

أقضي زماني حسرة وكآبة ... وأكتم وجدي والغرام مهابة
ودمعي من الأشواق يحكي سحابة ... رضيت بقتلي في هواه صبابة
وليس لمن لم يرض في الحب من عذر

كتمت الهوى خوفاً وصوناً لسره ... وكلفت قلبي أن يقوم بصبره
فؤاد بعاداً واستطال بغدره ... رثى لي عذولي من نحولي بهجره
وقد سر حسادي وقد خانني صبري

محب بكت عواده من أنينه ... ورق له حساده من حنينه
بحب حبيب قد زها في فنونه ... رشا كلما عاينت نور جبينه
غنيت به عن طلعة الشمس والبدر

---

(1) ينقضي فعل مضارع منصوب بأن ، وحذفها الشاعر لضرورة الوزن. وقبل مضاف ، والمصدر المأخوذ من « أن ينقضي » مضاف إليه .

سهرتُ وغيري في دُجَى الليل نائمُ مُهَنَّى وقلبي بالصبابةِ هائمُ
جفاني حبيبي وهو بالحال عالمُ ربًا في رُبا قلبي ومرعاه دائمُ[1]
مُقيمٌ بأحشائي إلى آخر الدهْرِ

سريعُ الجفا والوصلُ منه على مَهَلْ به طِيبُ نومي عن جفوني قد انْعزَلْ
حبيبٌ يبيتُ القلبُ منه على وَجَلْ رعيْتُ لَهَ العهدَ القديمَ ولم أزَلْ
على وُدِّهِ ما دمتُ أو ينقضي دَهْري

حليفُ سَقامٍ لم يكُنْ في حِسابه فراقُ حبيبٍ لم يرقَّ لِما به
بَكَتْهُ أعاديهِ لِعُظْم مُصَابِه رغبْتُ بأني قد وقفْتُ ببابه
ذليلاً عسى بالذل يجبُرُ لي كَسْري

تُرى غُمّةُ الهجرانِ بالوَصْلِ تنجلي ويبرأ به قلبُ المحبِّ المعلَّلِ
وشيقٌ رمى سهمًا فلم يُخْطِ مَقْتَلي رفعتُ إليهِ قِصَّتي كي يرقَّ لي
ويرحمَ حالي أو يجودَ على فَقْري

فُتِنْتُ بفتّانٍ سَبَاني بسحْرِه سَقَى الصبرَ صِرْفًا لي بكاسات خمْرِه
يَميلُ كغصْنِ البانِ يَتيهُ بسُكْرِه رماني بسَهْمِ البُعْدِ من قوسِ هَجْرِه
وصيَّرني أرعَى النجومَ إلى الفجْرِ

---

(١) ربا: بمعنى تربى. والربا: جمع ربوة: المكان المرتفع من الأرض. والشاعر يتصور أن في قلبه ربآ يعيش فيها حبيبه ويرعى.

عَلىٰ مهجتى مازَالَ بالهَجْرِ آمِرًا رَمَى بِلحَاظٍ مِنْهُ تُصبِى الجآذِرَا[1]
رَجَعْتُ بعزمى عَنْ هَوَاهُ مُبادِرًا وَلَمَّا رأيتُ الغَىَّ للرُّشـــدِ زَاجِرًا
لِمَدحِ نَبِيٍّ مَدْحُهُ جاءَ فى الذِّكْر[2]

إليـه ليحْظَى بالجِنَانِ جَمِيعُهُمْ لَه أمَّةٌ يومَ الحسابِ رُجُوعُهُمْ
رؤوفٌ رَحِيمٌ بالعصَاةِ شَفِيعُهُمْ لَهُـم أملٌ فى حُبِّـهِ لا يُضِيعُهُمْ
وَقَـدْ غَرِقُوا فِى أبْحُرِ الذَّنْبِ وَالوِزْرِ

وَلَوْلَاهُ فى سِلْكِ النُّبُوَّةِ مَا انعَقَـدْ هُوَ الجَوْهَرُ الشَّفَّافُ يَدْرِيه مَن نَقَدْ
رَقَىٰ مَوْضِعاً لَمْ يَرْقَـهُ أحَدٌ وَقَـدْ تَعوَّذَ بالمولَىٰ منَ النفْثِ فى العُقَدْ
تَعاظَمَ قَـدْرًا بالرِّيَاسَةِ والنَّصْرِ[3]

وَقَدْ بِسَيْفِ النَّصْرِ هَامَ عِـدَاتِه به الدِّينُ أضحَىٰ فى عُلاً برعَاته
رَكائِبُهُ مَنْصُـورَةٌ بِحُمَـاتِه يَفُوقُ الوَرَىٰ فى شَخصِــه وصِفَاتِه
يَصُولُ على الأعداءِ بالفتْحِ والنَّصرِ

---

(١) الجآذر : جمع جؤذر : ولد البقرة الوحشية ، وفى عيونها من الجمال والحسن ما جعل الشعراء يتغزلون فيه ، ويصفون به عيون من يحبونه . ومن هـذا المعنى قول الشاعر :

جَلَبْنَ الهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ أدْرِى وَلَا أدْرِى عُيُونُ المَهَا بَيْنَ الرُّصَافَـةِ وَالجِسْرِ

(٢) من هنا تخلص إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) يشير إلى قصة المعراج ، لأنه لم يرق أحد من الأنبياء إلى السماء وهو حى عاد إلى الأرض غيره . وما جاء فى قصة المعراج من اجتماعه بالأنبياء فى السموات إنما كان اجتماعاً بأرواحهم لا بأجسامهم . وكثير من العلماء يتأولون رفع سيدنا عيسى بأنه رفع لروحه بعد موته .

لأعدائه كأسُ المنونِ يجرّعُ ... وأبطالهم بالحقّ قهراً يصرّعُ
وصولٌ أمينٌ للأصولِ مفرّعُ ... رسولٌ إلى كلّ الأنامِ مشرّعُ

جلا ظُلْمةَ الإشكالِ بالنّهْى والأمْرِ

به قدْ أمِنّا كلَّ خوفٍ وذِلّةٍ ... شريفٌ عفيفٌ لا يُشانُ بزلّةٍ
مواردُهُ تُشفى بها كلُّ عِلّةٍ ... رُفِعْنا به قدراً على كلّ مِلّةٍ

له عُصْبةٌ شُمُّ الأنوفِ بلا نُكْرِ(١)

تراهمْ جميعاً جاوزوا البيدَ والفلا ... لمنْ قدرُهُ فوقَ السمواتِ قدْ علا(٢)
وكلٌّ له قلبٌ منَ الشوقِ ما سلا ... رجالٌ به حازوا المفاخرَ والعُلا

ونالوا رضا الرحمنِ بالحمدِ والشكرِ

حبيبٌ على مولاهُ وابنُ خليلِهِ ... لهُ أمّةٌ نالوا الهُدى بدليلِهِ
همُ القومُ لمّا استشفعوا برسولِهِ ... رضا اللهِ راموا سعيهم فى سبيلِهِ

بأنفسِهِمْ والمالِ فى السّرِّ والجهرْ

---

(١) الشمم : ارتفاع فى قصبة الأنف مع حسنها ، ويكنى به عن العزة والقوة فيقولون : فلان ذو شمم : أى سيد عزيز الجانب .

(٢) الفلا : جمع فلاة ، وهى الأرض القفر ، والمفازة لا ماء فيها ، والبيداء بمعنى الفلاة . وتجمع على « بيد » .

مَنازِلُ أهلِ الشِّرْكِ مِنْهُمْ دَوَارِسُ وَلَيْسَ بِهَا بَعْدَ الأنِيسِ مُؤانِسُ
لَقَدْ فَتَكَتْ فِيهِمْ لُيُوثٌ عَوَابِسٌ رُعَاةٌ يُرَاعُونَ الذِّمَامَ فَوَارِسُ(١)
حُمَاةٌ لِدِينِ اللهِ بِالْبِيضِ وَالسُّمْرِ(٢)

لَقَدْ ظَفِرُوا مِنْهُمْ بِنَيْلِ مُرادِهِمْ وَقَدْ مَكَّنُوا مِن مَالِهِمْ وَبِلَادِهِمْ
هَنِيئاً لَهُمْ قدْ أخْلَصُوا فِي جِهَادِهِمْ رَجَاءً بِهِمْ أَنْ يُرْزَقُوا فِي مَعَادِهِمْ
جِوَارَ نَبِيٍّ خَصَّهُ اللهُ بِالذِّكْرِ

---

(١) الذمام : الحق والحرمة . يعني أن أصحاب رسول الله يراعون الحقوق والحرمات ، ولا يعتدون عليها .

(٢) البيض جمع بيضة وهي آلة من آلات الحرب . والسمر ـ جمع أسمر ـ : وهو الرمح يعني أن الصحابة حموا دين الله بأموالهم وأرواحهم ، وبالرماح وغيرها من آلات الحرب .

زفيرُ جوًى منه الحشا قد تلذعت — وأيدى النوى جارت عليَّ وما رعت
رعى الله من قد ودعتني وأودعت[1] — زجاجةُ قلبي بالهوى قد تصدعت
وعن جبرها أبديت همةَ عاجز

أحبةُ قلبي قد أطالوا بعادهم — ولِمْ هجروا من لم يخالف مرادهم
فيا عاذلاً لو أنَّ عذلى أفادهم — زعمتم بأنى قد سلوت ودادهم
وذلك حكمٌ فى الهوى غيرُ جائز

حلفتُ بآيات الكتاب المنزلِ — ووقفتنا في كل ربعٍ ومنزلِ
لطول غرامي فيهم وتغزلى — زويتُ منامى عن جفونى بمعزلِ
وأبعدتُ نفسى عن فراشى بحاجز

لقد أكثر اللاحي ولجَّ مفندي[2] — وطال رجوعى نحوهم وترددى
أقولُ وقد صافيتهم بتوددى — زيادةُ اشواقى ونقصُ تجلدى
وما نلتُ من ذلٍّ فمن عزٍّ ناشزِى

---

(١) ودعتنى : تركتنى ورحلت ، وغاب عنى شخصها . وأودعت : أى أودعته حبها ، وقبل منها ما أودعته ، وبقى بعدها معذبا ، فلا هى قريبة منه فيحظى بوصلها ولا هو سلم من حبها واستراح .

(٢) اللاحى : اللائم يلوم غيره عما فعل . واللجاجة ، واللجاج : الخصومة . والمفند الذى يكذب الناس ويخطئ آراءهم . والمعنى : أن الذين يلومونه فى حب حبيبه ويخطئون آراءه فى حبه هم خصومه الألداء .

هَوَاهُمْ لِقَلْبِي مُتْعِبٌ لَا يُرِيحُهُ   وَصَبْرِي مَيْتٌ وَالفُؤَادُ ضَرِيحُهُ
وَسَهْمُ جَفَاهُمْ كَيْفَ يَبْرَأُ قَرِيحُهُ   زَمَانُ سُلُوِّي لَا يُسَامُ مَسِيحُهُ[1]

وَزَادَ غَرَامِي بِالصَّبَابَةِ وَاكْزِي

جَلَابِيبُ سُلْوَانِي بِهِمْ قَدْ تَمَزَّقَتْ   وَأَجْفَانُ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ تَأَرَّقَتْ
أُنَادِي وَلِي نَفْسٌ إِلَيْهِمْ تَشَوَّقَتْ   زَخَارِفُ أَقْوَالٍ مِنَ الْحُبِّ لُفِّقَتْ

بِوَعْدٍ طَوِيلٍ عُمْرُهُ غَيْرُ نَاجِزِ

أُعِزُّ عَزِيزًا عَالِمًا بِصُدُودِهِ   كَأَنَّ احْمِرَارَ الوَرْدِ فَوْقَ خُدُودِهِ
أَقُولُ وَقَدْ طَالَ المَدَى فِي وُعُودِهِ   زُلَالُ اللَّمَى قَدْ صَدَّنِي عَنْ وُرُودِهِ

فَذَاكَ لَعَمْرِي حُكْمُهُ حُكْمُ جَائِزِ

قَضِيبُ نَقًا يَسْبِي العُقُولَ بِخَطْرَةٍ   يُحَاكِي بِسِحْرِ اللَّحْظِ غِزْلَانَ وَجْرَةٍ
وَصُبْحُ جَبِينٍ فِي دُجُنَّةِ طُرَّةٍ   زَنَتْ مُقْلَتِي إِذْ خَالَسَتْهُ بِنَظْرَةٍ

فَجُدْتُ بِتَسْكَابِ الدُّمُوعِ اللَّوَاعِزِ[2]

تَغَنَّتْ حَمَامَاتُ الأَرَاكِ عَلَى فَنَنْ   فَهَيَّجَنِي شَوْقُ المَنَازِلِ وَالدِّمَنْ
وَقَدْ صَدَّ مَنْ أَهْوَاهُ لَمْ يَعْرِفِ الوَسَنْ   زَمَانِي غَدَا فِي رَاحَتَيْهِ وَكُلُّ مَنْ

سَعَى تَحْتَ قَهْرِ الْحُبِّ لَيْسَ بِفَائِزِ

---

(١) القريح : من فى جسمه دمامل ، ومن فى بدنه قروح بسبب ما ترك السلاح فيه من جروح . والشاعر يعتبر جفا الأحبة كالسهم فى فؤاده ، ويستبعد أن يبرأ جسمه مما خلفه فيه جفاء الأحبة من قروح .

(٢) لعزه : دفعه . والدموع اللواعز . كناية عن كثرتها ، حتى أنها يدفع بعضها بعضا عند خروجها من العين .

غزالٌ ثنى عنى وشطّ مزارُهُ   إذا رُمتُ منه الوصلَ زاد نفارُهُ
فتوجنته وردٌ وآسُ عذارهُ   زنادٌ بقلبي ليس يخبو شرارُهُ
وكم فيه سرٌّ كامنٌ غيرُ بارزِ

أنوحُ على الأحبابِ فى السرّ والعلَنْ   وأندبُها فى عرصةِ الدارِ والدِّمَنْ
ولمّا رأيتُ الشيبَ فى مفرقى سكَنْ   زجرتُ فؤادى عن هواهمُ بحبِّ مَنْ
لمادحِهِ فى الحشرِ أسنَى الجوائزِ [1]

به جنّةُ الفردوسِ تزهو قصورُها   ولولاهُ ما كانتْ ولا كان نورُها
قلوبٌ به تحيَى فتمّ سرورُها   زها نورُهُ والشمسُ لم يخفَ نورُها
ولم تفتقرْ يوماً إلى رمزِ رامزِ

لقدْ جاءنا بالحقِّ مِنْ عندِ ربّهِ   وفى ليلةِ المعراجِ فازَ بقربِهِ
وقدْ خصّه المولى بغفرانِ ذنبِهِ   زرعتُ بقلبى واعداً وعدَ حبِّهِ
وأسقيتُهُ دمعي لبُعدِ المفاوزِ

إذا ظهرَ المخفىّ عن كلِّ سالكِ   وضاقَ على العاصى فسيحُ المسالكِ
نفوزُ بها مِنْ موقعاتِ المهالكِ   زكىٌّ ذكىٌّ شافعٌ عندَ مالكِ [2]
كريمٌ رحيمٌ غافرٌ متجاوزُ

مدائحُهُ كالشهدِ فى كلِّ مشهدِ   إذا ذُكرتْ يحلَى بها قلبىَ الصدِى
شفاعتُهُ ترجَى لكلِّ موحّدِ   زيادةُ مجدِى فيهِ مدحُ محمّدِ
ونبتُ جنانى فيهِ وقعُ المزاهرِ

---

(١) من هنا تخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) الزكاء - بالزاى - النمو والزيادة . والذكاء - بالذال المعجمة - سرعة الفطنة .

أُصَلِّي عَلَيْهِ بالدَّوامِ لأنَّهُ إذا جاءهُ الرَّاجي يُحقِّقُ ظَنَّهُ
وَيُدرِكُ بَعْدَ الخوفِ وَالرَّوْعِ أَمْنَهُ زيارَتُه حَتْماً عَلَيْنَا لأنَّهُ
دَعانَا إلى سُبْلِ الهُدَى بالمعَاجِزِ(١)

أضاءتْ لنَا الدُّنيا بِنُورِ سَنائِهِ وكَمْ فُلْكٌ مَأْسُورٌ بهِ عَنْ عَنائهِ
لَهُ صِدْقُ وَعْدٍ زانهُ بِوَفائهِ زَكَيْتُ بما أَلْفَيْتُهُ مِن ثَنَائِهِ
وَأَصْبَحْتُ في حِرْزٍ من الأَمْنِ حَارِزِ

لَقَدْ نَالَ مِنْ مَوْلاهُ أَمْناً بِحِرْزِهِ وَقَدْ خَصَّهُ فِيما أشارَ بِرَمْزِهِ
بهِ يَتَحَلَّى ناظِرُ المُتَنَزِّهِ زُفُوفُ لأهلِ الشِّرْكِ ذَلَّتْ لِعِزِّهِ(٢)
فَلا قَائِلٌ في القَوْمِ هَلْ مِنْ مُبارِزِ

سُيُوفُ المنَايَا مِن دِمَائِهِمْ ذَوارِفُ أَحاطَ بِأَهْلِ البَغْيِ مِنْهَا زَوَاحِفُ
وأَدْرَكَهُم مِنْ بَعْدِ أَمْنٍ مَخَاوِفُ زُنُودُهُمُ قد بهرجتنا صوارِفُ
بِحَدِّ المواضِي والرِّماحِ الرَّوَاكِزِ

أَمُوتُ عَلَى حُبِّ النَّبِيِّ وَأُقْبَرُ وَأَحْيَى عَلَى حُبٍّ لَه حِينَ أُحْشَرُ
أَقُولُ وَوُدِّي فِيهِ لَا يَتَغَيَّرُ زِنُوا المَدحَ فيهِ فَهْوَ قَوْلٌ مُحَرَّرُ
تَضَمَّنَ وَصْفاً كَامِلًا غَيْرَ عاجِزِ

---

(١) المعاجز - بضم الميم - : الذى يعجز الغير عن الإتيان بمثله ، كالقرآن ، فإن الجن والإنس عجزوا عن الإتيان بمثله .

(٢) الزفوف . جمع زفة - بضم الزاى - : وهى الزمرة . وزفوف أهل الشرك زمرهم ، ذلت لعزه عليه الصلاة والسلام .

قافية الطاء

طَرِيقُ هوَاكُم عقْدُ دِينِي ومَذهَبِي   وأنتُم مُنَىٰ قلبي وسُؤْلي ومَطْلَبي
وَكَدَّرتُمُ بالبُعدِ صافِيَ مَشرَبِي   طَمِعتُ بطَيفٍ من خَيَالٍ يُلِمُّ بِي[1]
عَزيزٌ يَرَىٰ ذُلِّي لدَيهِ فَينشَطُ

مَلُولٌ نَفَى عنِّي الكَرى بِمِطالِهِ   وَجَوْرِ تَجنِّيهِ وطُولِ مَلالِهِ
مَطُولٌ ولم يَسْمَحْ بطَيْفِ خَيالِهِ   طَمِعْتُ بأنْ أعلُو بِطِيبِ وِصَالِهِ[2]
فما بالُ فِكْرِي بالقَطِيعَةِ يَنْحَطُّ

سَبانِي حَبِيبٌ حازَ قَلْبي ونَاظِرِي   حَكَى لَمَعَاتٍ مِن عُيونِ الجَآذِرِ[3]
ولمَّا تبدَّى لِي تَبَلْبَلَ خَاطِرِي   طُعِنْتُ بِسَهْمٍ من عُيونٍ فَوَاتِرِ
لهَا في الحَشَا وَقْدٌ وفي مَفْرِقي وَخْطُ

كَفانِي غَرامٌ قد أقامَ بِمُهْجَتِي   سَرَىٰ بِفُؤادِي وَالحَشَا في مَحَجَّتِي
فأضحىٰ عَذُولي لا يَقُومُ بِحُجَّتِي   طَما بَحْرُ أشوَاقِي فَظَلْتُ بِلُجَّتِي
أحومُ بها سَبْحاً كما يَسْبَحُ البَطُّ

---

(١) يلم بى : أى ينزل بى .

(٢) المطل ، والمماطلة ، والمطال ـ بكسر الميم ـ التسويف بفعل مايعد به .

(٣) الجؤذر ، والجوذر ـ بضم الجيم فيهما وبالهمز وعدمه ، ولد البقرة الوحشية وجمال عيونه يتغزل فيها الشعراء ويشبهون بها عيون من يحبونه .

حَلِيفُ هَوَاكُمْ كَيْفَ يُشْفَى غَلِيلُهُ مَرِيضُ جَفَاكُمْ كَيْفَ يَبْرَا عَلِيلُهُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الصَّبْرَ سُدَّ سَبِيلُهُ طَغَى دَمْعُ عَيْنِي ثُمَّ فَاضَ مَسِيلُهُ
كَطُوفَانِ نُوحٍ لَا يُرَامُ لَهُ شَطُّ

وَهَبْتُ لَهُ رُوحِي وَأَتْبَعْتُهَا البَدَنْ وَعُظْمُ اصْطِبَارِي بِالقَطِيعَةِ قَدْ وَهَنْ
وَقَلْبِي المُعَنَّى قَدْ أَضَرَّ بِهِ الشَّجَنْ طَبِيبِي رَثَى لِي مِنْ نُحُولِي بِحُبِّ مَنْ
عَلَيَّ بِطُولِ الهَجْرِ دُونَ الوَرَى يَسْطُو

مَحَبَّتُهُ فِي القَلْبِ عِنْدِي مُقِيمَةٌ تَجَدَّدَ عِنْدِي الوَجْدُ وَهِيَ قَدِيمَةٌ
وَسَلْوَةُ قَلْبِي عَنْ سِوَاهُ عَدِيمَةٌ طَلِيعَةُ وَجْدِي لَمْ تَرُعْهَا هَزِيمَةٌ
وَلِلْحُبِّ رَهْطٌ لَا يُمَاثِلُهُ رَهْطُ

تَمَادَى عَلَى الهِجْرَانِ مِنْ غَيْرِ عَادَةٍ وَأَمْسَتْ لَيَالِي الوَصْلِ غَيْرَ مُعَادَةٍ
وَمُذْ فَارَقُونِي حَسْرَتِي فِي زِيَادَةٍ طُلُولٌ خَلَتْ وَاسْتَوْحَشَتْ بَعْدَ سَادَةٍ [1]
وَهُمْ بِفُؤَادِي إِنْ تَدَانَوْا وَإِنْ شَطُّوا

لَقَدْ أَشْمَتَ البَيْنُ المُجِدُّ بِنَا العِدَا وَقَدْ عَادَ شَمْلِي بِالفِرَاقِ مُبَدَّدَا
وَإِنْ لَمْ أَجِدْ لِي مِنْ يَدِ البَيْنِ مُنْجِدَا طِوَالَ اللَّيَالِي بِتُّ فِيهَا مُسَهَّدَا [2]
عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَثْبُتْ إِذَا بَيْنَنَا شَرْطُ

---

(١) الطلول : جمع طلل ، وهو ما بقي شاخصاً من آثار الدار بعد الرحيل عنها مثل الأثافي ، والدمن ، ومسارح الغنم والابل وما إلى ذلك .

(٢) المسهد : الأرق ، وهو الساهر بالليل وعدم النوم .

غبا ربع[1] من أهواهُ واستوحش الوطن ... من الأهل والأحباب والجار والسكن
أنادى وقد أعيى الفؤاد من الشجن ... طباعى أبت أن تنثنى عن وداد من
سقونى بكأس الهجر ما مجت الزط[2]

رمونى بسهم الهجر فازددت رغبة ... إليهم ولم يرعوا ذماماً وصحبة
أيا من سقونى بالقطيعة شربة ... طريق الهوى قد ملت عنها محبة
بدرة عقد ما حوى مثلها سمط[3]

نبى هدانا للصواب وسبله ... حبيب إلى الرحمن خاتم رسله
وما أبدع الأكوان إلا لأجله ... طربت لما ألهمت من ذكر فضله
وقد زال عنا البؤس وارتفع السخط

سبوق وإن كان النبيون قبله ... تراهم غداً فى الحشر يرجون فضله
له خلق لم يخلق الله مثله ... طوائف أهل الشرك قد أذعنت له
وأعناقهم ذلت فأعجزها المط

وأوصافه تنبيك عن فضل علمه ... عطوف عن الجانى يجود بحلمه
قدير على الأعداء يسطو بعزمه ... طوالعهم مقهورة تحت حكمه
وليس لهم أمر ولا قدم يخطو

---

(١) غبا الشىء ـ بتشديد الباء ـ : ستره . يريد أن ربع الأحباب استتر عنه لطول عهده به ، ولمناسفته عليه الرياح من التراب .

(٢) الزط : جيل من السودان ، أو من الهند ليسوا من ذوى المكانة .
فهو يشكو حاله بعد فراق أحبابه ، حتى أنه اضطر إلى فعل أشياء بسبب فراقهم يأنف منها هذا الجيل من الناس الذين ليسوا من ذوى المكانة .

(٣) من هنا تخلص لمدح النبى صلى الله عليه وسلم .

لقد خصّنا المولى بأكرم مرسلٍ نبيّ أتانا بالكتاب المنزّل
وردت بمدحي فيه أعذب منهلٍ طليق لساني بالثناء وكيف لي
بهِ وهو لم يحصره لفظ ولا خط

به أمنت أهلُ المدائن والقرى وقد أخبر الفرقانُ عن كلِّ ما جرى
حديثٌ أتى بالصدق ما كان يفترى طويلُ المعاني شامخُ المجدِ والذرى
له راحةٌ بالجود عادتها البسط

تحجّ له الركبانُ من كلِّ وجهةٍ ولولاه لم نعرف سجوداً لقبلة
بهِ نحنُ في عيشٍ هنيءٍ ونزهةٍ طلوعُ الليالي لم يدع ليلَ شبهة
فأقوالُه عدلٌ وميزانه قسط

بهِ حفّت الأملاكُ جمعاً وأحدقت ومدّت له أبصارها ثم أشخصت
وقد نظرت إكرامَه فتحدّقت طباقُ السموات ارتقاها فأشرقت[1]
وكلُّ علاءٍ عن معاليه منحطّ

به قد نقلنا من ضلالٍ إلى هدى وفزنا بعزٍّ وانتصرنا على العدا
وإنّا جميعاً سالمون من الردى طرازٌ علا كمّ الوجود وقد غدا
به كعروسٍ زانها التاج والقرط

دعانا لجنّاته ملبّين سرعةً ونلنا به جاهاً وفخراً ومنّةً
وفي ديننا لم نخش غيّاً وبدعةً طلعنا به عزّاً وقدراً ورفعةً
وحزنا بهِ جاهاً منيعاً به نسطو

---

(١) يشير إلى عروجه صلى الله عليه وسلم إلى السماء . والعروج : الارتقاء . والمعراج : السلم والمصعد .

قافية الظاء

ظَفِرْتُم بِقَلْبٍ قد فَنِي فِي مُرَادِكُمْ وَعَذَّبتُمُ جِسمِي بطُولِ بِعادِكُمْ
سَهِرْتُ وَهُنِّئْتم بِطيبِ رُقادِكُمْ ظَلِلْتُمْ مُحِبًّا لَمْ يَحُلْ عن وِدادِكُمْ
وَتُبْدُونَ غَدْراً ثُمَّ يُبْدِي لَكُم حِفْظاً

وَحُرْمَةِ ذَاكَ الوُدِّ مَا زِلتُ بَعْدَكُمْ حَلِيفَ صَبابَاتٍ وَلَمْ أَنسَ وِدَّكُمْ[1]
تَرَحَّلْتُمُ وَالقَلْبُ مَا زَالَ عِندَكُمْ ظَنَنْتُمْ بِأَنِّي فِي الهَوَى خُنْتُ عَهْدَكُمْ
لِقِلَّةِ حَظِّي لَمْ أَجِدْ مِنكُمُ حَظَّا

إلى كَمْ بِنَارِ الهَجْرِ تُكْوَى مَفَاصِلِي وَأَسْتَنْجِدُ السُّلْوَانَ والصبرُ جادَ لِي
وَلَمَّا حَدَا الحادِي بِتِلْكَ المَحَامِلِ ظَلِلْتُ عَلَى الأَطْلالِ أَبْكِي وَعَاذِلِي
يَلُومُ وَيَأْبَى مِسْمَعِي يَقْبَلُ الوَعْظَا

هُمُ مَلَكُوا قَلْبِي وَسَارُوا بِلا ثَمَنْ وَقَدْ سَارَ مَنْ أَهْوَى وَلَمْ يَبْقَ لِي سَكَنْ
فَقَالُوا تَسَلَّى قُلْتُ أَسْلُوهُمُ بِمَنْ ظَمِئْتُ فَهَلْ وِرْدٌ يَبُلُّ غَلِيلَ مَنْ
بِفُرْقَةِ مَنْ يَهْوَى لَهُ الدَّهرُ قَدْ عَظَّا[2]

---

(١) الصبابة . الشوق إلى الشيء . والصب : المشتاق .

(٢) عظه الدهر ، وعظته الحرب بالظاء المشالة . وعضه بأسنانه : بالضاد المعجمة قال فى تاج العروس : نقلا عن بعض فقهاء اللغة : كل عض بالأسنان فهو بالضاد وما ليس بالأسنان ـ كعظ الزمان والحرب ـ فهو بالظاء .

جُيُوشُ غَرَامِي لَا تَزَالُ مُعَــدَّةً   وَأَجْفَانُ عَيْنِي وَالدُّمُوعُ مُمِدَّةً
وَكُلُّ الْمُنَى أَنْ تَمْنَحُونِي مَوَدَّةً   ظَعَائِنُ أَشْوَاقِي تَسِيرُ مُجِدَّةً

إِلَى حَيِّهِمْ طُوبَى لِعَبْدٍ بِهِمْ يَحْظَى

غَرَامِي مُطِيعٌ وَالسُّلُوُّ مُمَانِعُ   يُخَالِفُنِي فِي حُبِّهِمْ لَا يُطَاوِعُ
لَقَدْ سَلَبُوا عَنِّي بُدُورٌ طَوَالِعُ   ظِبَاءٌ ظُبَاهَا فِي الْقُلُوبِ قَوَاطِعُ

بِلَحْظٍ وَمَا أَقْوَى بِأَنْ أَمْنَعَ اللَّحْظَا

قَضَا اللهِ مَحْتُومٌ بِإِنْفَاذِ حُكْمِهِ   عَلَيَّ وَقَدْ أَبْرَاهُ سَابِقُ عِلْمِهِ
بِحُبِّ حَبِيبٍ طَرْفُهُ مِثْلُ سَهْمِهِ   ظَلُومٌ بَخِيلٌ لَا يَجُودُ بِظَلْمِهِ[1]

كَثِيرُ التَّجَنِّي لَيْسَ يُسْمِعُنِي اللَّفْظَا

غَزَالٌ كَحِيلُ الطَّرْفِ تَمَّتْ فُنُونُهُ   مَلِيحُ الْمَعَانِي سَاحِرَاتٌ جُفُونُهُ
يَنِمُّ بِهِ دَمْعِي وَقَلْبِي يَصُونُهُ   ظَفِرْنَا بِهِ وَالصَّدُّ أَغْفَتْ عُيُونُهُ

عَلَى أَنْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ مُقْلَتُهُ يَقْظَى

لَقَدْ فَرَضَ الْحُبَّ الْحَبِيبُ وَسَنَّهُ   عَلَى مُسْتَهَامٍ فِيهِ أَخْلَفَ ظَنَّهُ
وَيَهْجُرُنِي عَمْدًا وَيُسْهِرُ جَفْنَهُ   ظَنَنْتُ بِأَنْ أَسْلُو هَوَاهُ وَأَنَّهُ

هُوَ الْمَوْرِدُ الْعَذْبُ الَّذِي زَادَنِي حَظَّا

إِلَيْهِ اشْتِيَاقِي لَا يَزَالُ وَحَسْرَتِي   تَزِيدُ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَلَوْعَتِي
وَأَيَّامُ عُمْرِي بِالْقَطِيعَةِ وَلَّتِ   ظَنَنْتُ تَحُثُّ النَّاجِيَاتِ بِعَزْمَتِي

إِلَى خَيْرِ مَبْعُوثٍ لَعَلِّي بِهِ أَحْظَى[2]

---

(١) الظلم – بفتح الظاء – ماء الأسنان وبريقها . يعنى صفاء بياضها .

(٢) من هنا تخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم .

أيا سائقاً بالله إن كنت مسعدى   فعج بى إلى نحو الحبيب محمد
فإنى مشوق قد عدمت تجلدى   ظراب قطعناها إلى نحو أحمد[1]

وفزنا به كالنصل إذ دخل الأعظا

نبى له جاه سعدنا بحبه   فزر قبره إن شئت تحظى بقربه
لتسلم من هول الحساب وكربه   ظهور النبى المصطفى قد صفت به

قلوب إذا تحظى بمعرفة الأحظى

به ملة الإسلام تمت وأكملت   وأمته سادت به وتجملت
وقد خف من أوزارها ما تحملت   ظهير البرايا والمواقف أعضلت

رؤوف فلم يخلق غليظاً ولا فظا

له السبق فى العليا على من تقدما   شفيع لمن خاف المقام المعظما
فلذ بحماه تلق عيشاً منعما   ظواهره تهدى البرايا من العمى

فنالوا به المقصود والرفع والحظا

له أمة تهواه قد عز صبرها   تبيت ونار الشوق يشعل جمرها
وقد أمنت فى الحشر مما يضرها   ظهيرة أشواق تزايد زجرها

فإن فزت بالمقصود لا أختشى قيظا

---

(١) الظراب ـ بالظاء المشالة ـ : جمع ظرب : ما نتأ من الحجارة ، وحدد طرفه ، فيصعب السير عليه إلا بمشقة ، ومع ذلك فقد قطع ظراباً كثيرة قاصداً زيارة النبى صلى الله عليه وسلم . ولم يمنعه ما فى الطريق من حجارة محددة الرءوس يصعب السير فيها . وقوله : إذ دخل الأعظا : غير واضح المعنى .

بِزَوْرَتِهِ تَحْيَى القُلوبُ وتَهْتَدِي فَزُرْهُ لِتَحْظَى بالنَّعِيمِ المُخَلَّدِ
وَتَنْجُو بِهِ مِنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ فِى غَدٍ ظَلاَمٌ جَلاَهُ نُورُ وَجْهِ مُحَمَّدِ
بِحِكْمَةِ مَعْنًى فِيهِ قَدْ قَابَلَ اللَّفْظَا

دَعِ العِيسَ قَدْ أَوْكَى[1] بِهَا أَلَمُ السُّرى تَسِيرُ لِمَغْنًى خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى
لَقَدْ نَحِلَتْ أَجْسَامُهَا فَهْيَ لَا تُرَى ظُهُورٌ بَرَاهَا كَثْرَةُ الشَّوْقِ والسُّرَى
وَمِنْ شِدَّةِ الاشْوَاقِ مَدَّتْ لَهُ لَحْظَا

نَبِيُّ هُدًى مَا ضَلَّ يَوْماً وَمَا غَوَى بِهِ قَدْ كُفِينَا فِتْنَةَ الغَيِّ والهَوَى
إِلَيْهِ اشْتِيَاقِى لَا إِلَى الجِزْعِ وَاللِّوَى طَهَارَةُ صَبْرِى أَخْلَقَتْهَا يَدُ النَّوَى
وَجِلْبَابُ سُلْوَانِى بِحَرِّ الجَوَى يَلْظَا[2]

لَقَدْ خَصَّهُ المَوْلَى وَعَظَّمَ قَدْرَهُ وَقَدْ زَادَهُ فَخْراً لِيَعْلَمَ أَمْرَهُ
وَفِى مَوْقِفِ الأَشْهَادِ أَعْلَنَ ذِكْرَهُ ظِلاَلٌ وَأَنْهَارٌ لِمَنْ زَارَ قَبْرَهُ
وَفِى الخُلْدِ بِالتَّقْرِيبِ مِنْ رَبِّهِ يَحْظَى

---

(١) العيس : الإبل . والسرى ـ بضم السين ـ : سير الليل كله . وأوكى بها السرى : منعها التعب من فتح أفواهها حتى لا يخرج صوت الحنين منها . يقال أوكى الفم . منعه الكلام .

(٢) الجوى : الحزن والحرقة وشدة الوجد من فراق الأحبة . واللظى : لهب النار . وتلظت النار : تلهبت .

إلهٌ كريمٌ قدْ حَمَانى بفضْلِهِ ومَنَّ علَى ضَعْفى وجَادَ بعطْفِه
أقولُ لمن قدْ لامَ رَغماً لأنفِهِ ظَهَرْتُ بِحُبِّ المُصْطَفَى وبوَصْفِهِ
ظُهُورَ عُلُوٍ جاوزَ السَّهْلَ والشَّمْظَا[1]

(١) الشمظ : الحث على الشيء دون عنف . ومن معانيه « الخلط » الذى هو سبب للاشتباه والشك . يقول الشاعر : إننى ظهرت بسبب مدحى للمصطفى ظهوراً واضحاً لا اشتباه فيه . وقد جاوزت فى ظهورى السير الذى لاعنف فيه ، ووصلت إلى الحث العنيف للوصول إلى درجة عالية فى الفضل بسبب مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

قافيـــة الـكاف

كَلِفتُ بكُمْ والقَلْبُ يَصْلى بِنارِكُمْ وَخُنتُمْ وَلَمْ تَرْعَوا ذماماً لِجارِكُمْ
وَما كَانَ ظَنّى أنّ ذا من شعارِكُمْ كَفى حَزَناً كَمْ وَقفَةٍ لِى بِدارِكُمْ

أُسائلها عَنكُمْ وَلِى مُقلةٌ تَبكِى

أما عِندكُمْ خَبرٌ بحالى وَمَا جرَى عَلى مُستَهام لَا يُطيقُ تَصبّراً[1]
وَلمّا رأيتُ الرَّكْبَ قَدْجَدَّ فى السُّرى كَتَبْتُ بدَمْعِى فَوْقَ خَدّى أَسْطُرا

بشِدّة أشْوَاقى إليْكُمْ بلَا شَكِّ

رَحَلتُمْ عَن المُضْنَى فَأَبْدى زَفيرَهُ وَغِبْتُمْ عَن المَغْنَى[2] وكُنتُمْ بدُورَهُ
بَعثْتُ لمنْ أضحَى الفُؤادُ أسيرَهُ كتاباً جَرى دَمْعِى فغبّى سُطورَهُ[3]

فَمَنْ ذالهُ سَمْعٌ إلى قَوْلى المُبْكِى

تَفرّقَ شَمْلى بَعْدَ ما قَدْ تألّفَا وَنَالَ منْ الهِجْرَانِ وَالبُعْدِ ما كَفَى
وَلَمْ تَرحَموا صَبّاً مَنَ الشّوْقِ مُدنِفَا[4] كَئيباً مُعنّى ظَلّ يَبكِى تأسُّفَا

عَلى صَفْو عَيْش قَد تَكَدّرَ بالضّنْكِ

---

(١) المستهام: الهائم فى الحب الذى لا يصبر عن فراق محبوبه.

(٢) المغنى - بفتح الميم -: المنزل الذى استغنى به أهله عن غيره. يعنى أنهم كانوا كالبدور يضيئون المنزل. فلما غابو عنه أظلم.

(٣) غبى سطوره - بتشديد الباء -: طمسها بعد أن كانت واضحة.

(٤) الدنف - بفتح النون -: المرض الملازم، والدنف بكسر النون -: المريض يعنى أن أحبابه هجروه، فأصبح بعدهم مريضاً كئيباً معنى متعبا من فراقهم.

دَعُوا عَذْلَكُمْ عَنهُ وَخَلُّوا مَلَامَهُ وَعُودُوا سَقِيماً ظَلَّ يَشْكُو سَقَامَهُ
حَلِيفُ سُهَادٍ قَدْ تَجَافَى مَنَامَهُ كَثِيرُ اشْتِيَاقٍ بَاتَ يَشْكُو غَرَامَهُ[1]
أَسِيرٌ وَمَنْ قَيْدِ الهَوَى غَيْرُ مُنْفَكْ

وَفَيْتُ بِعَهْدِى فِى هَوَاهُ فَلَمْ يَفِ فَمَا حِيلَتِى فِى هَجْرِهِ وَهْوَ مُتْلِفِى
كَثِيرُ التَّجَنِّى لَا يَرِقُّ لِمُدْنَفِ كَلِفْتُ بِفَتَّانِ الشَّمَائِلِ أَهْيَفِ
تَبَدَّى كَبَدْرٍ لَاحَ مِنْ ظُلَمِ الحَلَكِ

أَمِيرُ جَمَالٍ جَارَ فِى الحُبِّ وَاعْتَدَى يَتِيهُ عَلَى العُشَّاقِ زَهْواً وَقَدْ بَدَا
بِقَدٍّ يُحَاكِى الغُصْنَ فِى الرَّوْضِ أَمْلَدَا[2] كَسَاهُ الحَيَا عِنْدَ العِتَابِ تَوَرُّدَا
كَذَا خَالِصُ الإِبْرِيزِ يَظْهَرُ بِالحَكِّ

شَكَوْتُ لَهُ مَا نَالَنِى مِنْ صُدُودِهِ فَتَاهَ دَلَالاً يَنْثَنِى فِى بُرُودِهِ
مَلُولٌ بَخِيلٌ لَا يَفِى بِوُعُودِهِ كَتَمْتُ هَوَاهُ حَافِظاً لِعُهُودِهِ
وَصِدْقُ وِدَادِى لَا يُغَيَّرُ بِالتَّرْكِ

تَبَارَكَ رَبًّا قَدْ أَتَمَّ كَمَالَهُ وَصَوَّرَ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ جَمَالَهُ
تَجَنَّى دَلَالاً لَا عَدِمْتُ دَلَالَهُ كَذَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى حَبِيباً وِصَالَهُ
حَقِيقَةُ وُدٍّ فَهْوَ سَاعٍ إِلَى الهَلْكِ

(١) الغرام بالشيء: الولوع به. والمغرم: أسير الحب. يعنى أنه مغرم بحب حبيبه حتى أصبح أسيرا له.

(٢) الغصن الأملد: الناعم اللين. والشاعر يشبه تمايل حبيبه فى مشيته بالغصن الناعم الذى يميل حيثما ميله الريح.

تَمَادى عَلى هَجْرى فَعَذَّبَ مُهْجتى حَبِيبٌ سَبى عَقْلى وَأَسْهَرَ مُقْلَتى
عَلَيْه فَبِنى صَبْرى وَلَمْ تَرْقَ عَبْرَتى كَظَمْتُ به غَيْظى وَأَخْفَيْتُ لَوْعَتى
وَأَظْهَرْتُ للعُذَّالِ ضِحْكاً بلا ضِحْكِ

يَرُومُ افْتِضَاحِى فِى الهَوَى وَتَهَتُّكى وَطُولَ وُقُوفِى فى المَنَازِلِ أَشْتَكى
وَلَمَّا رَأَيْتُ الغَىَّ أَخطَرَ مَسْلَكِ كَفَفْتُ يَدِى عَن حُبِّهِ لِتَمَسُّكى
بِحُبِّ نَبِىٍّ قَوْلُهُ جَلَّ عَنْ إِفْكِ (١)

رَسُولٌ أَتانَا صَادِقاً غَيْرَ مُفْتَرِى مَلاذاً وَإِنْقَاذاً لِعَاصٍ وَفَاجِرِ
فَضَائِلُهُ تُرْوَى عَلَى كُلِّ مِنْبَرِ كَأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ عِقْدُ جَوْهَرِ
قَدِ انْتَظَمُوا وَهْوَ اليَتِيمَةُ فِى السِّلْكِ (٢)

لَقَدْ خَصَّهُ رَبُّ العُلَا بِسَلَامِهِ وَبَلَّغَهُ كُلَّ المُنَى مِن مَرَامِهِ
وَقَدْ رُفِعَتْ عَنَّا بِحَدِّ حُسَامِهِ كُرُوبٌ تَوَلَّى كَشْفَهَا بِاهْتِمَامِهِ (٣)
بِهِ قَدْ أَقَرَّتْ أَلْسُنُ الخَلْقِ بِالمُلْكِ

عَلَيْهِ اعْتِمَادِى وَهْوَ سُؤْلِى وَمَقْصِدِى دَلِيلِى وَعِزِّى وهو لِلْحَقِّ مُرْشِدِى
عَلَيْهِ سَلَامِى كُلَّ يَوْمٍ مُجَدَّدٍ كَسَبْتُ ثَنَائِى بِامْتِدَاحِى لِأَحْمَدِ
كَمَا كَسَبَ العَطَّارُ مِن أَرَجِ المِسْكِ

---

(١) من هنا تخلص لمدح النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) اليتيم : الفرد ، وكل شىء لا يوجد له نظير يقال له يتيم . والنبى صلى الله عليه وسلم هو الجوهرة اليتيمة التى لانظير لها فى عقد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل فى عقد الانسانية جمعاء .

بِهِ قَدْ بَلَغْنَا سُؤْلَنَا مِن ثَوَابِهِ ... وَفُزْنَا بِإِدْرَاكِ العُلاَ مِن جَنَابِهِ
وَلَمَّا سَقَانَا مِنْ لَذِيذِ شَرَابِهِ ... كَلاَنَا(١) جَمِيعاً حِينَ لُذْنَا بِبَابِهِ
وَأَنْقَذَنَا بِاللَّفْظِ مِن شَرَكِ الشِّرْكِ

شَفَاعَتُهُ تُرْجَى إِذَا الأَرْضُ زُلْزِلَتْ ... لِنَفْسٍ بِهِ يَوْمَ الحِسَابِ تَوَسَّلَتْ
وَكَمْ حَلَّ عَنْهَا مِن أُمُورٍ قَدْ أَشْكَلَتْ ... كَشَفْنَا بِهِ سُحْبَ الضَّلاَلَةِ فَانْجَلَتْ
بَصَائِرُنَا مِنْ ظُلْمَةِ الرَّيْبِ وَالشَّكِّ

إِمَامٌ لَهُ البَيْتُ الحَرَامُ وَزَمْزَمُ ... وَلَوْلاَهُ مَا صَلَّى وَلاَ صَامَ مُسْلِمُ
وَلاَ وَقَفَ الحُجَّاجُ يَوْماً وَأَحْرَمُوا ... كَرِيمٌ أَمِينٌ هَاشِمِيٌّ مُعَظَّمُ
بِهِ قَدْ نَجَا نُوحٌ وَسَارَ عَلَى الفُلْكِ

لَقَدْ زَانَهُ المَوْلَى وَكَمَّلَ وَصْلَهُ ... وَأَدْنَاهُ تَقْرِيباً وَوَفَّقَ فِعْلَهُ
وَأَحْكَامُهُ بِالقِسْطِ تُظْهِرُ عَدْلَهُ ... كَأَحْمَدَ لَمْ يُخْلَقْ وَلَمْ نَرَ مِثْلَهُ
نَبِيٌّ لَهُ وَصْفُ السَّكِينَةِ وَالنُّسْكِ

أَجَلُّ عِبَادِ اللهِ قَدْراً وَمَوْثِقاً ... وَأَفْصَحُ مَن قَدْ حَازَ عِلْماً وَمَنْطِقَا
كَرِيمُ السَّجَايَا لاَ يَزَالُ مُوَفَّقَا ... كَرَامَتُهُ عُلْوِيَّةٌ وَقَدِ ارْتَقَى
لِمِعْرَاجِهِ حَتَّى رَأَى مَالِكَ المُلْكِ(٢)

تَرُوحُ بِأَشْوَاقٍ وَنَغْدُو بِمِثْلِهَا ... وَكَمْ مُشْكِلاَتٍ قَدْ وَثِقْنَا بِحَلِّهَا
لَقَدْ وُضِعَتْ أَوْصَافُهُ فِي مَحَلِّهَا ... كِتَابُهُ خَيْرُ الكِتَابِ كُلِّهَا
فَخُذْ مَا رَوَى عَنْهُ أَبُو طَالِبِ المَكِّي

(١) أصله : كلأنا بالهمزة ، بمعنى حفظنا وحرسنا . وحذفت الهمزة للوزن .
(٢) يشير إلى عروجه إلى السماء ، وهناك رأى ربه بغير كيف ولا جهة .

قافية اللام

لقلبي أنين لا يزال من الجوى وجفني قريح قد أضر به النوى
وكم ذا أنادي حول كاظمة اللوى لحى الله من يلحى المحبين في الهوى
على أنهم أهل المكارم والفضل

لقد شربوا في الحب أعذب شربة وكم كتموا في القلب سر محبة
وكم صبروا كرهاً على طول غربة لهم همم نالوا بها خير رتبة
وقد بلغوا وصفاً يجل عن المثل

جنوبي تجافت عن لذيذ المضاجع بهم وجفوني قرحت بالمدامع
وقد قطعت عنهم حبال المطامع لذكراهم يحلو السماع لسامع
وفي ألسن العشاق مثل جنى النحل

لهم أنفس عزوا بها بعد ذلة ولم يوصفوا يوماً بعيب وزلة
وهم صفراء اللون من غير علة لقد لبسوا في الحب أشرف حلة
وقد برزوا في أحسن اللون والشكل

أنينهم في شوقهم وخشوعهم يزيد وقد فاضت بحار دموعهم
ومن لي بأن أحظى بيوم رجوعهم لعلك إن وافيتهم في ربوعهم
تنبئهم عن فرط حزني وعن ثكلي

أيا سائق الأظعان قف بالمحامل وعرج على تلك الربا والمنازل
لقد هاج أشواقي لهم وبلابلي لمن يشتكي المهجور حول العواذل
وليس لهم عذل يميل إلى العدل

وَقِفْ سَاعَةً بَيْنَ الأُجَيْرِعِ وَالنَّقَا   لنشكو لهيبا فى الحشا وَتَحَرُّقَا
لَقَدْ أَطْنَبَ الْعُذَّالُ لَا رُزِقُوا بَقَا   لِعَذْلِهِمْ هَامَ الفُؤادُ تَشَوُّقَا

وَصَارَ لِفَرْطِ الْحُبِّ فى أَشْغَلِ الشُّغْلِ

أَضَرَّ بِجِسْمِى دَاؤُهُ وَسَقَامُهُ   شَدِيدٌ وَجَفْنِى قَدْ جَفَاهُ مَنَامُهُ
وَحَرُّ فُؤَادِى لَيْسَ يَخْبُو ضِرَامُهُ   لَهِيبُ مَشُوقٍ لَذَّ فِيهِمْ حِمَامُهُ(١)

وَيَا حَبَّذَا إِنْ كَانَ يُرْضِيهِمُ قَتْلِى

مَلِيحٌ سَبَانِى دَلُّهُ وَدَلَالُهُ   يُمِيتُ وَيُحْيِى هَجْرُهُ وَوِصَالُهُ
مَحَاسِنُهُ تَمَّتْ فَزَادَ جَمَالُهُ   لَعَمْرِى كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْسَ يَنَالُهُ

سِوَى مَنْ لَهُ حَظٌّ فَيَظْفَرُ بِالْوَصْلِ

هَوِيتُ حَبِيباً لَمْ يَزَلْ مُتَوَلِّعاً   بِهَجْرِى عَلَى وَصْلِى يُرَى مُتَمَنِّعاً
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَلْبَ بَاتَ مُوَجَّعاً   لَزِمْتُ وُقُوفِى رَاجِياً مُتَشَفِّعاً

بِأَحْمَدَ خَيْرِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ الرُّسْلِ(٢)

فَفَرْضٌ عَلَيْنَا حُبُّهُ وَهْوَ لَازِمٌ   عَلَى عَدَدِ الأَيَّامِ وَالْحُبُّ دَائِمٌ
وَمَا أَنَا فى قَوْلِى الذى قُلْتُ آثِمٌ   لَهُ شَرَفٌ لَوْلَاهُ مَا كَانَ آدَمُ

وَنَاهِيكَ مِنْ فَرْعٍ تَسَامَى عَنِ الأَصْلِ(٣)

---

(١) الحمام ـ بكسر الحاء ـ : الموت ، يعنى أنه من شدة حبه لهم يفضل الموت على فراقهم ويتمنى أن يقتلوه إن كان يرضيهم قتله .

(٢) من هنا تخلص إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

(٣) ناهيك : بمعنى حسبك ويكفيك . والأصل : آدم . والفرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . والمعنى يكفيك أن الفرع فاق الأصل فى الشرف والمكانة عند الله

إلى يثرب سرنا وسار المحامل ... وقد شاقني ذاك الحمى والمنازل
أقول ولي دمع على الخد هاطل ... ليال أرجيها وإني لقائل
كما قال موسى إذ تولى إلى الظل[1]

بيثرب سلمنا على خير مرسل ... وكل أتينا نحوه بتذلل
ولما تجلت حجرة نورها جلي ... لعيني كحل لن تراها وكيف لي
به وهو يغني الطرف عن إثمد الكحل

تزايد شوقي نحوه فتحدرت ... مدامع عيني كالبحار تفجرت
وما هي إلا أنفس قد تفطرت ... لكل نبي معجزات تقدرت
وفضل رسول الله زاد على الكل

رسول من المولى أتانا بحجة ... رؤوف عطوف زانه صدق همة
هدينا به حقا لخير محجة ... لطلعته الغراء نور ببهجة
تقاصر عن إدراكها كل ذي عقل

نبي مطاع القول فيه نجابة ... له دعوات في الأنام مجابة
ومن حر شمس ظللته غمامة[2] ... لرؤيته في كل عين مهابة
فيا حسنه أفديه بالروح والأهل

---

(١) لما هرب سيدنا موسى من فرعون بمصر وذهب إلى أرض سيدنا شعيب. وهي أرض الطور الآن وما جاورها ـ وجد بنتي سيدنا شعيب تسقيان غنمهما ، فسقى لهما ، ثم ذهب إلى ظل شجرة يستظل به وقال : (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) يعني أن الشاعر في أشد الحاجة والفقر إلى الليالي التي تجمعه بأحبابه .

(٢) كان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى الشام قبل النبوة في تجارة للسيدة خديجة قبل أن يتزوجها ومروا في طريقهم ببحيرا الراهب فرأى بحيرا السحابة حينما كانت تظلله، فعرف أنه النبي المنتظر، ووصى عمه أبا طالب أن يحافظ عليه من اليهود .

حَليفٌ له بَيْنَ الملائكِ رُتْبَــةٌ وَبَيْنَ البَرايَا عِزُّ جاهٍ وَمَنعَــةٌ
لَه المدْحُ من نَظْمي وَلي منهُ خلعَةٌ لتَكْرَارِ مدْحي فيه وَالمـدْحُ رِفْعَةٌ
وَمَرْتَبَــةٌ ما نالهَـا أحَدٌ قَبْلي

كَفيلُ اليَتَامَى عُـدَّةٌ للأرَامِلِ كَرِيمُ السَّجايَا مَا لَهُ مِنْ مُمَاثِلِ
دَعانَا بحَقٍّ قَـدْ محَا كلَّ بَاطلٍ لِهَيْبَتِـه ذَلَّتْ رِقَابُ القَبَائِلِ
مِنَ الشِّركِ لَمَّا أن تَمَادَتْ عَلَى الجَهْلِ

نَـبِيٌّ مُطاعٌ فى البَرِيَّةِ مُحتَرَمْ لَهُ زَمْزَمٌ والرُّكْنُ وَالبَيْتُ والحرَمْ
عَلَوْنَا به قَـدْراً عَلَى سَائِرِ الأمَمْ لِنُصْرَتِه جَاءَتْ مَلائكَةٌ وَكَمْ[1]
بِهِمْ هُزِمَتْ جَمْعُ الخُيولِ مَعَ الرَّجْلِ

تَمَنَّيْتُ لَو أنَّ المقَادِيرَ سَـاعَدَتْ بِزَوْرَتِه يَوْماً وَعَيْنِى شَاهَدَتْ
ثَرَى تُرْبَةٍ أنوارُهَا قَـدْ تَزَايَدَتْ لِكَثْرَة شَوْقِ سَلْوَتِى قَدْ تَباعَدَتْ
وَعِنْدِى كُلُومٌ وَهْيَ أزْكَى مِنَ الـكُلِّ[2]

---

(١) حاربت الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر وفى غزوة حنين

(٢) الكلوم : الجروح . جمع كلم - بفتح الكاف - وهو الجرح بضم الجيم .

قافية الميم

مضى زمني والعمر ولّى بحبكم   ولم تنعموا يوماً عليّ بوصلكم
تناقص صبري مذ تزايد عتبكم   مناي من الدنيا أفوز بقربكم
وأن تنظروا ذلّي وحالي وترحموا

لقد ملّ سمعي ما يقول العواذل   وهاج بقلبي لوعة وبلابل
وقد عدم السلوان والوجد حاصل   محبّ براه الشوق والجسم ناحل
فإن جزتم يوماً عليه فسلّموا

ترى هل لصبٍّ بان عنه هجوعه   ومن نار وجد لا تقرّ ضلوعه
حليف غرام والسهاد ضجيعه   مقيم على حفظ الهوى وضلوعه
تنمّ بأسرار الهوى وتترجم

يسير فؤادي حيث سار الحبائب   وقد رحلت أحمالهم والركائب
قتيل هوى تبكي عليه النوادب   مدامعه فوق الخدود سواكب
وأحشاؤه من حرّها تتضرّم

إلى كم أرجّي زورة من خيالكم   ليبرأ فؤاد لم يزل في حبالكم
وإنّ مرادي لو خطرت ببالكم   مددت يدي أرجو جزيل نوالكم
على أنكم بالحال أدرى وأعلم

إلى كم أصون الدمع عنكم وأكتم   غرامي عن العذّال لمّا رحلتم
ولم تنظروا ما حلّ بي حين بنتم   منعتم جفوني أن تنام وأنتم
خليّون من سهد مدى الليل نوّم

أيا هاجرى صلنى جعلت لك الفدا وإلا فدع بينى وبينك موعدا
أبيت ونومى عن جفونى مشردا مدى ليلتى أرعى النجوم مسهدا
أترضى بقتلى وهو شىء محرم

ألا ما لجفنى قل عنه رقاده وبالطيف لم تسعده يوماً سعاده[1]
أتحسب أن الحب سهل قياده سقام لمن لا يستريح فؤاده
ولا دمعه يرقا ولا القلب يسلم

أحبتنا بنتم فبان تصبرى وغبتم عن المضنى فبان تحسرى
سترت الهوى والبين يبدى تسترى ملكتم فؤادى قلت حسبى تفكرى
وشغلى بمدح المصطفى فهو مغنم[2]

أتينا إلى وادى العقيق بفرحة وقد زال عنا كل هم وترحة
وفاح لنا من يثرب طيب نفحة مديح رسول الله أفضل مدحة[2]
ألا إنه الهادى الشفيع المعظم

أرى الشرك قد هدت قواعد سوره بخير الورى داعى الهدى ونصيره
طوى الأرض والسبع العلى فى مسيره محا ظلم الشرك البهيم بنوره
فأضحى به ثغر الشريعة يبسم

---

(١) الطيف : ما يراه الإنسان من خيالات وهو نائم . وكنى بلفظ سعاد عن محبوبه . ويتأسف أنه لم يظفر برؤية محبوبه حتى بخياله فى المنام .

(٢) من هنا تخلص إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

أيا سائقَ الأظعانِ إنْ جُزْتَ سَحرةً عَلى ذلكَ الوادى وأحرزْتَ نَظْرَةً
فَبلِّغْ سَلامِى لِلذى حلَّ حُجْرَةً مَكَارِمُهُ جَلَّتْ فَلَمْ تُحصَ كَثْرَةً
وَلَمْ يحْوِهَا قَلْبٌ وَلَمْ يُحصِهَا فَمُ

نَبِىٌّ زَهَا فَوْقَ الأَنامِ ضِيَاؤُهُ فَصَحَّ بِهِ قَلْبٌ وَزَالَ عَنَاؤُهُ
جَزِيلٌ عَطَايَاهُ رَحيبٌ فِنَاؤُهُ مَصَابِيحُ نُورِ الأَنبِيَاءِ ضِيَاؤُهُ
وَمَنْ مِثْلُهُ وَهْوَ النَّبِىُّ المُكَرَّمُ

مَكَارِمُهُ مَشْهُورَةٌ وَهِبَاتُهُ بِهَا شَرُفَتْ إخْوَانُهُ وَحُمَاتُهُ
وَكَمْ فتكَتْ فِى المُشْرِكِينَ قَنَاتُهُ[1] مَرَاتِبُهُ عُلْوِيَّةٌ وَصِفَاتُهُ
بِهِ تَقْتَدِى الأَشْهَادُ وَهْوَ المُقَدَّمُ

جُيُوشٌ بِهِ عَزَّتْ وَنَالَتْ مَرَامَهَا لِنُصْرَتِهِ فِى الحَرْبِ سَلَّتْ حُسَامَهَا
وَأَهْدَتْ لَهُ فِى كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَهَا مَلَائِكَةٌ صَلَّتْ وَكَانَ إمَامَهَا
وَصَلَّوْا عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا وَسَلَّمُوا[2]

رَسُولٌ سَمَتْ أَوْصَافُهُ وَالمَرَاتِبُ وَقَدْ ظَهَرَتْ آيَاتُهُ وَالعَجَائِبُ
وَقَدْ نُصِرَتْ أَحزابُهُ وَالكَتَائِبُ مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى سَرَى وَهْوَ رَاكِبٌ[3]
وَلَا أَحَدٌ قَدْ أَمَّهُ يَتَقَدَّمُ

(١) القناة : الرمح ، والرمح : عود طويل فى رأسه حربة . كانت العرب تحارب به . وتجمع القناة على قنوات وقنى . ويجمع الرمح على أرماح ، ورماح . والفتك : القتل والفاتك : الشجاع .

(٢) يعنى أن الملائكة صلت على النبى صلى الله عليه وسلم . وقد أخبرنا القرآن بذلك : إن الله وملائكته يصلون على النبى .

مَحَبَّتُهُ لَاشَكَّ فيهَا وَلَا خَفَا ... وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ لِلْقُلُوبِ هِيَ الشِّفَا
بِهَا كَمْ نَجَا عاصٍ وَكَانَ عَلَى شَفَا ... مِنًى شَرُفَتْ لَمَّا أَتَاها مَعَ الصَّفَا
كَمَا شَرُفَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَزَمْزَمُ[1]

مَغَارِبُنَا تَزْهُو بِهِ والمشَارِقُ ... وَكُثْبَانُ نَجْدٍ وَالجِبالُ الشَّوَاهِقُ
عَوارِفُهُ[2] مَشْهُورَةٌ وَالْحقَائِقُ ... مَكِينٌ أَمِينٌ فِى الْمَقَالَةِ صَادِقُ
رَحِيمٌ كَرِيمٌ عَادِلٌ لَيْسَ يَظْلِمُ

عَلَوْنَا بِهِ فَخْراً عَلَى كُلِّ مِلَّةٍ ... وَلَم نَخْشَ من بُؤْسٍ وَرَوْعٍ وذِلَّةٍ
وَلَوْلَاهُ لَم نَعْرِفْ صَلَاةً لِقِبْلَةٍ ... مَوارِدُهُ تَجْلُو صَدا كُلِّ عِلَّةٍ
إِذَا سُعِّرَتْ يَوْمَ الحسابِ جَهَنَّمُ

كَرِيمٌ جَوَادٌ فَازَ عَبْدٌ سَعى لَهُ ... وَإِن سَأَلَ الْمَوْلَى أَجابَ سُؤَالَهُ
مُنَاهُ جِوَارُ الْمُصْطَفَى أَنْ يَنَالَهُ ... مُطَاعٌ مُهابٌ فِى النَّبِيِّينَ مَالَهُ
شَبِيهٌ وَلَا مِثْلٌ لِمَنْ يَتَفَهَّمُ

---

(١) المروة والصفا : جبلان بقرب المسجد الحرام بمكة من الناحية الشرقية ، يسمى الحجاج بينهما فى الحج ولا يصح الحج إلا بالسعى بينهما .

وقد أحدث السعوديون فى الحرم المكى توسعة كبيرة ، وأصبح الصفا والمروة فى داخله . والبيت العتيق هو الكعبة ، وزمزم : بئر فى داخل المسجد الحرام بجوار الكعبة فى الناحية الجنوبية الشرقية .

(٢) العوارف : جمع عارفة ، وهى المعروف .

قافيـــة النون

نَأَيْتُم عَن المُضْنَى وَلَمْ تَتَعَطَّفُوا عَلَى هائمٍ أَضْحَى بِكُم وَهْوَ مُدْنَفُ [١]
مَشُوقٌ يُنَادِي وَالمَدَامِعُ تَذْرِفُ نَهَارِي وَلَيْلِي سَاهِرٌ مُتَأَسِّفُ
وَمِنْ هَجْرِكُمْ قَدْ زِدتُ حُزناً عَلَى حُزْنِي

تَجَافَتْ جُفُونِي نَوْمَهَا مُذْ هَجَرْتُمُ وَعَذَّبْتُمُونِي بالصُّدُودِ وَجُرْتُمُ
وَلَوْ ذُقْتُمُ مَا ذُقْتُهُ لَعَذَرْتُمُ نَقَضْتُمْ عُهُوداً فِي الهَوَى وَغَدَرْتُمُ
وَدُمْتُمْ عَلَى هَجْرِي وَخَيَّبْتُمُو ظَنِّي

حَدَا بِهِمُ الحَادِي سُحَيْراً وَحَمَّلُوا مَطَايَاهُمُ وَالرَّكْبُ لَمْ يَتَمَهَّلُوا [٢]
وَقَدْ خَلَّفُونِي وَالفُـؤَادُ مُعَلَّلُ نَعِمْتُ بِهِمْ دَهْـراً فَلَمَّا تَرَحَّلُوا
شَقِيتُ وَعُوِّضْتُ المَسَرَّةَ بِالحُزْنِ

مُحِبٌّ لَهُ دَمْعٌ حَكَى فَيْضَ جُودِهِ سَحَاباً وَنَاراً أَظْهَرَتْ شَيْبَ فَوْدِهِ
مَشُوقٌ إِلَى ذَاكَ الحِمَى وَوُرُودِهِ نَعِيمٌ فَلَوْ جَادَ الزَّمَانُ بِعَوْدِهِ
لَمَا كَانَ دَمْعُ العَيْنِ يَنْهَلُّ كَالمُزْنِ

---

(١) الدنف - بفتح النون - . المرض الملازم . والمدنف - بفتح النون وكسرها - : المريض . والمعنى أنه يقول لأحبابه - يستعطفهم - بعدتم عنى ، ولم تتعطفوا على بزورة وأنا هائم فى حبكم ، وقد لازمنى المرض من يوم فراقكم .

(٢) السحير - بضم السين - تصغير سحر - بفتحها ، وهو الوقت الذى قبـل الصبح .

والمعنى : أن أحبابه حملوا مطاياهم ، ورحلوا قبيل الصبح . ولم يتمهلوا حتى يراهم فيودعهم . فهو يتحسر لعدم رؤيتهم ، ويشكو ما حل به من شقاء لفراقهم .

لَبِسْتُ بِهِمْ ثَوباً مِنَ السُّقْمِ مُعْلَمَا   وَحُبُّهُمُ مَا زَالَ عِنْدِي مُخَيِّمَا
أُنَادِي وَدَمْعُ العَيْنِ فِي الخَدِّ قَدْ هَمَى   نَسِيمَ الصَّبَا بِاللهِ إِنْ جُزْتَ بِالحِمَى
فَبَلِّغْ سَلَامَ النَّازِلِينَ بِهِ عَنِّي

وَلَمَّا اسْتَقَلُّوا ظَاعِنِينَ وَقَدْ غَدَتْ   مَطَايَاهُمُ نَحْوَ الغُوَيْرِ وَأَنْجَدَتْ[1]
أَقُولُ وَنِيرَانُ الأَسَى قَدْ تَوَقَّدَتْ   نَشَدْتُكَ يَا حَادِي المَطِيِّ إِذَا بَدَتْ
مَعَالِمُهُمْ صَرِّحْ بِذِكْرِي وَلَا تَكْنِي

لَقَدْ عَوَّدُونِي غَيْرَ مَا كُنْتُ أَعْهَدُ   وَصَبْرِي تَفَانَى وَالغَرَامُ مُجَدَّدُ
وَمُذْ زَادَ بِي حُزْنِي وَقَلَّ التَّجَلُّدُ   نَحَلْتُ وَمِنْ سُقْمِي مُقِيمٌ وَمُقْعَدُ
وَقَدْ طَالَ نَوْحِي فِي النَّوَاحِي فَلَمْ يُغْنِ[2]

غَدَوْا وَفُؤَادِي مَعَهُمْ حِينَ أَنْجَدُوا   وَمُذْ رَحَلُوا عَنِّي رُقَادِي مُشَرَّدُ
وَأَقْطَعُ لَيْلِي وَالكَوَاكِبُ تَشْهَدُ   نُجُومٌ أُرَاعِيهَا وَطَرْفِي مُسَهَّدُ
وَسُحْبُ دُمُوعِي تَسْتَهِلُّ مِنَ الجَفْنِ

صُرُوفُ اللَّيَالِي بِالمَشِيبِ تَحَكَّمَتْ   عَلَيَّ وَأَيَّامُ الشَّبَابِ تَهَدَّمَتْ
وَقَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي ذُنُوبٌ تَقَدَّمَتْ   نَدِمْتُ عَلَى أَيَّامِ عُمْرٍ تَصَرَّمَتْ
فَلَا أَرَبٌ يُقْضَى وَلَا عَمَلٌ يُدْنِي

---

(١) الظعن : السفر .
(٢) النواحي : جمع ناحية ، وهي الجهة . والمعنى أنه طال نوحه في جميع الجهات ولم يغن عنه نوحه شيئاً ؛ لأنه لم يعثر لأحبابه على خبر .

أُناسٌ تَناسَونا ومَلُّوا وِصَالَنــا وقَدْ صَرمُوا بَعْدَ الوِصالِ حِبالَنـا
أرى الشَّيْبَ وافى والصِّبا ما وَفَى لَنا نَرُوحُ ونَغْدُو فى المَعاصى ومَا لَنـا

سِوَى صَاحِبِ البَطْحَاءِ والبَيْتِ والرُّكْنِ[1]

رَسُولٌ منَ الرَّحْمٰنِ حَازَ المَحامِدَا وتَحْتَ الدَّياجى باتَ لِلّٰهِ سَاجِداً
وكَمْ ردَّ مطْرُوداً عَنِ البابِ شَارِداً نَبيٌّ سَما فَوقَ السَّماواتِ صَاعِداً[2]

إلى العَرْشِ والأَمْلاكُ مِنْ حَوْلِهِ تُثْنى

بِهِ يُنقَذُ العَاصى مِنَ الزَّيْغِ والزَّلَلْ إذا جاءَ فى يَوْمِ الحِسابِ على وَجَلْ
نَبيٌّ أتانَا بالتَّفاصِيــلِ والجُمَلْ نَدَى رَاحَتَيْهِ مُسْتَهِلٌّ ولَم يَزَلْ

يَجُودُ بِلا مَنْعٍ ويُعْطِى بِلا مَنِّ

لَهُ أُمَّةٌ مِنْ خَوْفِهَا قَدْ تَوَسَّلَتْ بِهِ وإلى أعلى مَقَامٍ تَوَصَّلَتْ
ذُنُوبُهُـمْ والسَّيِّئَاتُ تَبَـدَّلَتْ نَفَى الشِّركَ عَنَّا بالحَقِيقَةِ فانْجَلَتْ

بِـأَنوارِهِ الأَبْصَارُ مِنْ ظُلَمِ الظَّنِّ

بِوَطْأَتِهِ قَدْ شُرِّفَتْ كُلُّ بُقْعَةٍ وفَازَ من المَوْلَى بِعِزٍّ ورِفْعَةٍ
طِوالَ اللَّيــالِى ما تَهَنَّا بِهَجْعَةٍ نَهانَا عَنِ المحذُورِ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ

وبَدَّلَنـا مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ بالأَمْنِ

شفاعته في الحشر تظهر فضله   على كل مبعوث إلى الناس قبله
مواعيده صدق تشاكل فعله   فيا كامل الأوصاف لم نر مثله
فسبحان من أهدى له حلل الحسن

سرت عيسنا تطوى الفلاة بعزمة   إلى نحو من فازت به خير أمة
لقد خصه المولى بعز ورفعة   نباهته قد أظهرت كل حكمة
وكم ذا لها فن يزيد على الفن

تسامى على عرب الوجود وعجمه   فلا يتعدى مؤمن حد رسمه
ولما أتينا طائعين لحكمه   نصرنا على حزب الضلال بعزمه
وصلنا عليهم بالمشرفة اللدن

له قد بذلنا الود في السر والعلن   وفزنا به يوم المعاد من الفتن
رسول أتانا بالفرائض والسنن   نبوته دلت على نقص عقل من
يقول بروح القدس والأب والابن

أموت اشتياقاً والفؤاد بحسرة   وقد ضاع عمرى ما ظفرت بسفرة
إلى يثرب والقلب يكوى بجمرة   نويت بعزمى أن يشاد بزورة
بنائى وسوء الحظ يهدم ما أبنى

جميع البرايا تحت جاه محمد   به يرتجون العفو من فضل سيد
محامده من كثرة لم تعدد   نشرنا لواء بالثناء لأحمد
يكل لسان الشكر عن بعض ما أثنى

قافيـــة الصاد

صُرُوفُ اللَّيالِى غَيَّرَتْ عَيْشِىَ الهنِى   وَوَلَّى زَمَانِى بِالصُّدودِ وَقَدْ فَنِى
أقولُ لِمنْ أعْياهُ سُقْمِى وَمَلَّنِى   صَدِيقِى أعِنِّى بالبُكاءِ فإنَّنِى
كَلِفتُ بِظَبْىٍ كامِلِ الوَصْفِ والشَّخْصِ

هَوِيتُ رَشِيقاً لايُرَى مِثْلُ ذاتِهِ   كَأَنَّ شَقِيقَ الوَرْدِ فِى وَجَنَاتِهِ
حَلَفْتُ لِمن قدْ لامَنِى بحِمَاتِهِ   صَدَقْتُكَ فِى قَوْلِى وَبَعْضُ صِفَاتِهِ
إذَا رُمْتَ تُحصِيهَا مَدَى الدَّهْرِ لَمْ تُحْصِ

مَلُولٌ جَفَانِى وَاسْتَمَرَّ على النَّوى   فَنَارُ فُؤادِى فيهِ نَزَّاعَةُ الشَّوَى
فَقُلتُ وقَلْبِى مِنْهُ فى غَمْرَةِ الجَوَى[1]   صَحا كُلُّ مَنْ دَارَتْ بهِ خَمْرَةُ الهَوَى
سِوَاىَ فَسُكْرِى فى ازْدِيَادٍ بلاَ نَقْصِ

تَعَزَّزَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ فَأَذَلَّنِى   وَلاَ مانِعٌ فى الصَّبْرِ عَنْهُ فَأَنْثَنِى
وَلمَّا رَأَيْتُ السُّقْمَ فى الحُبِّ شَفَّنِى[2]   صَدِيتُ إلى العَذْبِ الفُرَاتِ وإنَّنِى
لأَقْنَعُ مِنْ تِلْكَ المَوَارِدِ بالمَصِّ

---

(١) الجوى : هوى وعشق باطنى يصيب الانسان من فراق أحبابه ، حتى أنه يشعر - فى كثير من الأحيان - بحرارة فى جوفه لا يطفئها الالقاء الأحباب .

(٢) شف الجسم : نحل . وشفه الهم : هزله . يعنى أن جسمه هزل ونحل من فراق أحبابه .

بعقرب صدغيه حمى الورد واللمى فهيجنى من بطن واد إلى حمى
أبيت به صبا وأصبح مغرما صفاء ودادى لا يحول وكلما
أردت التدانى بالقطيعة لى يقصى

نسيم سرى كالمسك ريحا إذا شذا فلم يبق عند الصب سقما ولا أذى
ولما بدا من عرفه ذلك الشذا صبا للصبا ذلى فقلت لها إذا
مررت عليه بالسلام له خصى

فؤادى عن المحبوب ما رام سلوة يزيد غراما كلما اشتاق عنوة
ألا ياصبا نجد إذا جزت غدوة صفى كلفى إن أنت صادفت خلوة
وجملة ما شاهدت من قصصى قصى

أمين جمال حاز قلبى بأسره يموت ولا ينفك من قيد أسره
وراض لما يرضى مطيع لأمره صبرت على الهجران صونا لسره
وسترا ولم يغن التستر بالحرص

يحن إلى الوادى إذا فاح طيبه وإن ذكرت نجد يزيد نحيبه
محب جفاه نومه وحبيبه صدى فى حشاه ليس يطفى لهيبه
تراه ذليلا فى المنازل يستقصى

عدمت فؤادى فى هواهم وناظرى وأجريت دمعا كالسحاب المواطر
ولما رمانى بالصدود مهاجرى صرفت فؤادى عن هواه وخاطرى
لمدح نبى بالشفاعة مختص (١)

---

(١) من هنا تخلص إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

هُو المصطفى والمجتبى والمكرَّمُ فزُرْ قبره إن شئت تحظى وتنعمُ
ومن كلّ خوفٍ في القيامة تسلمُ صفيٌّ وفيٌّ في القلوب معظَّمُ
تحجُّ له الرُّكبانُ شوقاً على القصِّ

نبيٌّ له جودٌ رحيبٌ فناؤه وبدرُ تمامٍ قد تسامى سناؤه
بهمّته العلياء طاب ثناؤه صباحٌ منيرٌ قد هدانا ضياؤه
من الجهل فاسئل عنه بالبحث والفحص

له عصبةٌ عزّت به فاستقلّت لنصرته أسيافهم حين سُلّت
به أشرقت أنوارهم وتجلّت صنائعه ترجى لأمّته التي
بدا ظنّهم بالحبّ كالنّقش في الفصّ

لأمّته إحسانُه ونوالُه وللشّرك منه خزيُه ووبالُه
مفرّقةٌ نحو الأعادي نبالُه صدوقٌ شكورٌ قلبُه ومقالُه
رحيمٌ بأصحابٍ كذا جاء في النّصّ

هنيئاً لمن أضحى على الباب واقفاً وقد نظرت عيناه تلك المراهفا[1]
وزار نبيّاً للشّدائد كاشفاً صفوحٌ عن الجاني إذا جاء خائفاً
حليمٌ رحيمٌ غافرٌ غير مقتصّ

لقد فاز من يسعى له ويقبّلُ ثراه ليلقى عنده ما يؤمّلُ
يهونُ به ما يحمل المتحمّلُ صبورٌ له المجد الأثيل مكمّلُ
من الله محروسٌ من العيب والنّقص

---

(١) لعله يريد الأماكن اللطيفة . رهف الشيء رهافة : دق ولطف .

أرى الدمعَ مِن عينىَّ طوفانُه طغَى فقلتُ وفى قولى ثوابٌ لمن صغَا
فتًى يَمدحُ المختارَ فى القلْب مَا لَغَا صحابتُه فى موْقفِ الحْربِ والوغَى
كأنهمُ البنْيانُ قدْ شُدَّ بالرَّصّ

أتانَا بأوْصَافٍ حِسانٍ جميلةٍ وربُّ العُلاَ قدْ خصَّهُ بوسِيلةٍ
قبيلتُه فى الناسِ خيرُ قبيلةٍ صفاتُ المعَالِى لاَ تُرامُ بحيلةٍ
لكُلِّ امرئٍ ممن يُطِيعُ ومَنْ يَعصِى(١)

لَه مَكْرُماتٌ لَيْسَ يُحْصَرُ عدُّها وهامُ العِدَا بالمشْرفيةِ قدُّها
ولمّا تشاكَيْنَا مِنَ الدّارِ بُعْدَهَا صَبغْنَا خُدُوداً بالدُّموعِ وبَعْدَهَا
شقَقْنا قُلوباً لاَ الجُيُوبَ مِنَ القُمْصِ(٢)

مُنَايَ بأنْ أسعى إليهِ مُسلِّمَا فيمنعُني عنْهُ القضَاءُ مِنَ السَّمَا
حَنِيني إليْه لاَ إلى الرَّبْعِ والحِمَى صَلاةٌ من الرَّحمٰنِ تغْشَاهُ كُلَّمَا
ترنّحَ غُصْنٌ فى الحدائِقِ بالرَّقْصِ

---

(١) لاترام : لاتطلب . يعنى أن صفات المعالى لاتطلب بالحيلة ، وإنما باتخاذ الوسائل التى توصل إليها ، كالكرم ، والشجاعة وحسن الخلق وما إلى ذلك من مكارم الأخلاق .

والمعالى ليست قاصرة على المطيعين بل يصل إليها كل من سلك طريقها واتخذ وسائلها الصحيحة سواء كان مطيعاً أو عاصياً .

(٢) القمص ـ بضم القاف والميم ـ : جمع قميص ، وسكن الميم لوزن الشعر يعنى أنه من كثرة بكائه على الأحبة وشوقه إليهم لم يجد فى شق قميصه ما يهون عليه كما يفعل الناس ، بل عمد إلى قلبه فشقه .

قافية الضاد

ضَنًى بفؤادِى زادَ مِن فَيْضِ عَبْرَتِى ... ويا عَجَباً لم يُطْفِ نيرانَ عِلَّتِى
ولمّا تولّتْ عِيسُهُمْ واسْتَقَلَّتِ ... ضَنِيتُ لبُعْدِى عَنْ دِيارِ أَحِبَّتِى[1]

وطَرْفُ رجائِى لا يَغُضُّ ولا يُغْضِى

ركائبُهُمْ بَيْنَ الغُوَيْرِ ولَعْلَعِ ... تَسِيرُ ونيرانُ الأَسَى بَيْنَ أضْلُعِى
أُسائِلُ عنهُمْ كُلَّ نادٍ ومَرْبَعِ ... ضُحًى رحَلُوا والشَّوْقُ باقٍ وأدْمُعِى

تَفِيضُ وجَفْنِى يَشْتَكِى عَدَمَ الغَمْضِ

تَمَنَّيْتُ لَوْ مَنُّوا عَلَىَّ بِرَجْعَةٍ ... لَعَلَّ جُفُونِى أن تَلَذَّ بِهَجْعَةِ
أيا أُخْتَ سَعْدٍ ساعِدِينِى بِدَمْعَةٍ ... ضُلُوعِى انْطَوَتْ مِنِّى على حَرِّ لَوْعَةٍ

بحُبِّ غَزالٍ قَدْ تَمادَى عَلَى بُغْضِى

بَكَيْتُ دماً لمَّا فَنِى ماءُ مُقْلَتِى ... وزادَ اشْتِياقِى بَعْدَ فَقْدِ أحِبَّتِى
أيا عاذِلِى باللهِ دَعْنِى بحَسْرَتِى ... ضَمِيرِى بأنْ أسْلُو هَواهُ وسَلْوَتِى

تَجُوبُ فِجاجَ الأرضِ بالطُّولِ والعَرْضِ

---

(١) ضنيت : أى مرضت . وضنى ـ بكسر النون ـ : مرض مرضا مخامرا ، كلما ظن برءه نكس . وسبب مرضه : بعده عن ديار أحبابه . وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

ألا يا صَبَى نجدٍ متى هِجْتَ من نجد ... فقدْ زادَنى مَسراكَ وجداً على وَجْد
أَنْ زعموا أنّ المحبَّ إذا نأى ... يَمَلُّ وأنّ القربَ يُبرى من الوَجْد
بكلٍّ تداوَيْنا فلَمْ يُشفَ ما بِنا ... على أنّ قُرْبَ الدار خيرٌ من البُعْد
على أن قُربَ الدار ليسَ بنافعٍ ... إذا كان من تهواهُ ليسَ بذى وُدِّ

بِقَلْبِي رَشِيقٌ يُشْبِهُ البَدْرَ قَدْ نَشَا   يُحَاكِي قَضِيبَ الخَيْزُرانِ إِذَا مَشَى
سَقَانِي الهَوَى صِرْفاً فَزِدْتُ تَعَطُّشَا   ظُبَاً وَهْيَ فِي الأَجْفَانِ قَدْ قَدَّتِ الحَشَا[1]

فَبَعْضِي بِهِ يَشْكُو إِلَى بَعْضِهَا بَعْضِ

إِذَا مَا حَدَا الحَادِي وَسَارَتْ أَحِبَّتِي   يُعَاوِدُنِي شَوْقُ الهُيَامِ وَزَفْرَتِي
وَمُذْ رَحَلُوا لَمْ يَهْنِ لِي طِيبُ رَقْدَتِي   ضَجِيعِي غَرَامٌ لَا يَزَالُ وَحَسْرَتِي

تُجَدِّدُ لِي وَجْداً وَعُمْرِي بِهَا يَمْضِي

وَحُرْمَةِ ذَاكَ الوَصْلِ مَا خُنْتُ عَهْدَهُمْ   وَمُذْ هَجَرُونِي مَا تَنَاسَيْتُ وُدَّهُمْ
وَقَدْ خَلَّفُوا لِي الجِسْمَ وَالقَلْبُ عِنْدَهُمْ   ضُرِبْتُ بِسَيْفِ الهَجْرِ فَازْدَدْتُ بُعْدَهُمْ

نَدَامَةَ مَنْ أَدْمَى يَدَيْهِ مِنَ العَضِّ[2]

كَلِفْتُ بِمَنْ أَحْبَبْتُهُ وَهْوَ قَاتِلِي   بِأَسْهُمِ لَحْظٍ قَدْ أَصَابَتْ مَقَاتِلِي
فَيَا أَسَفِي مَا فُزْتُ مِنْهُ بِطَائِلِ   ضَجِرْتُ بِمَا قَدْ نَالَنِي مِنْ عَوَاذِلِي

فَبُدِّلَ فَوْدِي مِنْ سَوَادٍ لِمُبْيَضِّ

---

(١) ظباً ـ بضم الظاء ـ جمع ظبة : وهي حد السيف : يعني أنه تأثر من نظرات حبيبه حتى أثرت في أحشائه كما يؤثر حد السيف في المضروب ، وأصبحت أعضاؤه كل منها يشكو الى الآخر تأثره بنظرات الحبيب .

(٢) الذي أدمى يديه من العض هو عامر بن الحارث الكسعي ، وذلك أنه كمن لقطيع من الحمر الوحشية ليصطادها ، فلما مرت به رمى واحدا منها بسهم فأصابه حتى نفذ منه السهم ، ورمى الثاني والثالث . وفي كل مرة ينفذ السهم ، من العير وهو يظن انه أخطأه ، فاغتاظ ، وبلغ به الغيظ أن كسر قوسه . فلما أصبح فإذا الحمر مطرحة مصرعة ، وأسهمه مضرجة بالدم ، فندم وعض إبهامه حتى قطعه ندما وتحسرا على كسر قوسه .

أحبةُ قلبي ما وفوا لي بعهدِهم وما رحِموا في الحبِّ ذلةَ عبدِهم
لقد ذابَ جسمِي من نُحولي بصدِّهم ضِرامُ لهيبٍ في الفؤادِ لبُعدِهم
وقدْ ضاقَ بي بالصَّبِّ مُتسعُ الأرضِ

وبي أغيدٌ روحي له قدْ وهبتُها تعوضتُ عنها فُرقةً ما حسِبتُها
وما زِلتُ أنهى النفسَ حتَّى زجرتُها ضممتُ يدِي عن حبِّه ومددتُها
إلى نحوِ مَنْ حُبِّي له غايةُ الفرضِ (١)

نبيٌّ ترى الأنوارَ من حولِ تُربِه مواهبُهُ مِثلُ السَّحابِ
أمِنَّا بهِ من جورِ دهرٍ وخطبِه ضفَا ظِلُّه حتَّى بلغنا بحبِّه (٢)
مفازَ غدٍ في موقفِ الحشرِ والعرضِ

قفوا نسألِ المولَى الكريمَ بعفوِهِ يجودُ على ذنبِ المسيءِ بمحوِهِ
لنخرجَ من غيمِ الضلالِ لصحوِهِ ضربْنا بطونَ اليعملاتِ لنحوِهِ (٣)
ولولاهُ لم نذكرْ سبيلًا إلى النهضِ

لآياتِه الراياتُ بالخيرِ تُعقدُ وعنْ فضلِه كلُّ الأحاديثِ تُسندُ
ولا خوفَ يُخشَى والشفيعُ محمدُ ضحوكٌ ونارُ الحربِ تذكو وتخمدُ
صبورٌ وخيلُ الغيِّ تنهضُ بالركضِ (٤)

---

(١) من هنا تخلص إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) ضفا ـ بالضاد المعجمة ـ بمعنى طال . وثوب ضاف : أى سابغ طويل .

(٣) اليعملات ـ بفتح الياء والميم ـ : جمع يعملة ، وهى الناقة النجيبة . يعنى أنه ركب ناقة نجيبة ، وسار بها لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) الركض : العدو ، وتحريك الإنسان رجليه وهو راكب على الفرس ليحثه على الجرى .

هَنيئاً لأقْـوَامٍ سَبَـاهُمْ بِنظْرَةٍ وَزَوْرَهُمْ مِن بَعْدِ حَجٍّ وعُمْرَةِ
أقُـولُ وَقَدْ هَمَّ الحجيجُ بِسَـفْرَةٍ ضَعُوا كُلَّ ذنبٍ إنْ وَصَلْتُمْ لِحُجْرَةِ
حَوَتْ خَيْرَ خَلْقِ اللهِ بالشَّرَفِ المَحْضِ

لَهُ رُتبَـةٌ تَسمُو لِرفعَةِ قَدْرِهِ وأخلاقُهُ تُنْبِيكَ عَنْ شَرْحِ صَدْرِهِ
نَبيٌّ تَرى المَخْـفِيَّ مِنْ غَيبِ سِرِّهِ ضَمِينٌ لِمَنْ وَافَى زيَارَةَ قَبْرِهِ
وَأوْفَى عُهوداً لا تُغَيَّرُ بالنَّقْضِ

مِنَ اللهِ مَحْرُوسُ الجنابِ بِعصْمَةٍ وأفْضَلُ مَرْسُولٍ إلى خَيْرِ أُمَّةِ
لَقَـدْ خَصَّهُ المولى بِإتمـامِ نِعْمَةٍ ضحاً نُورُ إشْرَاقٍ جَلاَ كُلَّ ظُلْمَةِ
وَلاَ قَدْحَ فِي قَوْلٍ وَلاَ ثَلْمَ فِي عِرْضِ

هُوَ البَدْرُ يَزْهُو فِي بُرُوجِ سُعُودِهِ وَإنْ قُلْتَ شَمْسٌ فَهْيَ دُونَ صُعُودِهِ
رَحِيبٌ فِنـَاهُ مَا خَلاَ مِن وُفُودِهِ ضِعَافٍ مَسَاكِينٍ حَبَاهُمْ بِجُودِهِ[1]
لَطِيفٌ بِهِمْ فِي حَالَةِ البَسْطِ والقَبْضِ

لَهُ مُعجِزاتٌ بَعضُهَا لَم تُعَـدَّدِ وَمِنْ جُمْلَةِ الآياتِ شَاةُ أمِّ مَعْبَدِ[2]
أقُولُ وَقَوْلِي فِيهِ نُصْحٌ لِمُهْتَدِي ضَلاَلٌ لِمن لاَ يَهْتَـدِي بِمُحَمَّدِ
وَذُلٌّ وخِزْيٌ أنْ يَعِيشَ وَأنْ يَقْضِي

---

(١) فناء الدار ـ بكسر الفاء ـ ما اتسع أمامها من الفضاء . وفناء دار النبي صلى الله عليه وسلم واسع ومشغول دائماً بالضيوف سواء فى حالة العسر واليسر ـ وهو كناية عن كرمه البالغ النهاية .

(٢) أم معبد : امرأة كانت تسكن البادية ، فمر بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر فى طريقه إلى المدينة ، فسألها لبنا ، فلم يكن عندها إلا شاة واحدة =

صَباحُ مُحيَّاهُ بَدا تحتَ حُجْبِــهِ ... وكم قدْ هُدِينَا مِنْ ضَلَالٍ بِصُبْحِهِ
وأنقَذَنا مِنْ كُلِّ غَيٍّ بِنُصْحِهِ ... ضَعُفْتُ فما اسْطَعْتُ القيامَ بِمَدْحِهِ
وَلَكِنَّنِى أرجُو أُعانُ عَلَى البَعْضِ

تَجَلَّى لَهُ المَوْلَى فَفَازَ بِأُنْسِهِ[1] ... وَقَدْ أشْرَقَتْ بالسَّعْدِ أنوَارُ شَمْسِهِ
فَتَـاهَ دَلَالًا فِى حَظِيرَةِ قُدْسِهِ ... ضَمِينٌ كَفِيلٌ لِلْعِبادِ بِنَفْسِهِ
يُبَشِّرُهُمْ أنَّ الإلَهَ لَهُمْ مُرْضِى

= ماتبض بقطرة ، فاستأذنها فى حلبها فأذنت له ، فمسح ضرعها وسمى الله فدرت فحلب وملأ الإناء فشرب أبو بكر والدليل والنبى صلى الله عليه وسلم . ثم حلب ثانية . فملأه فشربوا ثانية ، ثم حلب وملأه ثالثة وتركه عند أم معبد معجزة له صلى الله عليه وسلم ؛ فلما جاء زوجها ورأى اللبن استغرب ، فأخبرته ووصفت له النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هذا نبى قريش ، وأقسم أنه لو رآه لآمن به ، ثم ذهبوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة فآمنوا به وعادوا لمنزلهم ، وكانوا يؤرخون بيوم مرور الرجل المبارك .

(١) يشير إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الإسراء والمعراج .

قافيـة العـين

عَدِمْتُ فُؤادِي إنْ أطاعَ مُعَنِّفا وقَدْ بَاتَ مِنْ فَرْطِ الغَرَامِ عَلَى شَفَا
لَقَدْ نالَهُ مِنْ لَوْعَةِ البَيْنِ مَا كَفَا عُرَيْبَ الحِمَى كَمْ ذَا التَّمَادِي عَلَى الجَفَا
أما أنْتُمْ أَهْلُ الوَفَا والصَّنائِعِ

أمَا تَتَّقُونَ اللهَ فى قَتْلِ مُسْلِمِ عَلَى بَابِكُمْ مُضْنَى الفُؤادِ مُتَيَّمِ
فإنْ تَقْتُلُونِى لَيْسَ قَتْلِى بِمَغْنَمِ عَسَىٰ أنْ تَجُودُوا بالوِصَالِ لِمُغْرَمِ
أضَرَّ بِهِ وَجْدٌ ثَوَىٰ فى الأضَالِعِ

تَمَلَّكْتُمْ قَلْبِى وَرَبِّ المَشَارِقِ يَمِينَ مُحِبٍّ فِى الألِيَّةِ صَادِقِ [1]
لَقَدْ عَادَ عَيْشِى بَعْدَكُمْ غَيْرَ رَائِقِ عَلَامَ تَمَالَأْتُمْ على قَتْلِ عَاشِقِ
شَكَىٰ ما بِهِ لَكِنْ إلىٰ غَيْرِ سَامِعِ

فُؤادِي إلىٰ نَحْوِ الأحِبَّةِ يَنْتَمِى مَشُوقاً وَمِنْ حَرِّ الصَّبَابَةِ قَدْ ظَمِى
وَذِكْرُ سِوَاهُمْ لَا يَمُرُّ عَلَى فَمِى عَنَائِى وشَوْقِى قَدْ أعَانَا عَلَىٰ دَمِى
وَفَرْطُ غَرامِى وانْسِكَابُ المَدَامِعِ

جُفُونِى بِسُهْدِى عَنْ مَنَامِى تَعَوَّضَتْ وَكَمْ حَاجَةٍ قَدْ رُمْتُهَا قَطُّ مَا انْقَضَتْ
أُنادِى وقَدْ سَارَتْ سُحَيْراً وَقَوَّضَتْ [2] عَفَا اللهُ عَنْ لَيْلَىٰ بِهَجْرِى تَعَوَّضَتْ
وَقَدْ مَنَعَتْ جَفْنِى لَذِيذَ المَضَاجِعِ

---

(١) الألية ـ بتشديد الياء ـ : اليمين . وتمالأتم : اتفقتم .

(٢) أى قوضت خيامها ورحلت ، يقصد محبوبته التى كنى عليها فى الشطرة الأخيرة بليلى التى رحلت وتعوضت عن وصاله بهجره .

فَتَاةٌ مِنَ الأَعْرابِ تَغْنُو بِغُنَّةٍ وَتِلْكَ عَلَى العُشَّاقِ أَعْظَمُ فِتْنَةِ
لَقَدْ شَغَلَتْنِي فِي هَوَاهَا بِمِحْنَةٍ عُيُونٌ لَهَا فِي القَلْبِ رَشْقُ أَسِنَّةِ
وَأَمْضَى مِنَ البِيضِ الحِدَادِ القَوَاطِعِ

طَبِيبِي رَثَى لِي مِنْ سِقَامِي وَمَلَّنِي وَمَا حِيلَتِي فِي الصَّبْرِ وَالصَّبْرُ قَدْ فَنِي
لَقَدْ سَاءَنِي قَوْلُ العَذُولِ وَمَضَّنِي عَذُولِيَ دَعْنِي لَا تَلُمْنِي فَإِنَّنِي
فَتًى عَن سَمَاعِ العَذْلِ صُمَّتْ مَسَامِعِي

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعِ الحَبِيبِ أُسَائِلُ مَتَى رَحَلَ الأَحْبَابُ
سُؤَالَ مُحِبٍّ فِي حَشَاهُ بَلَابِلُ عَلِيلٌ بَرَاهُ الشَّوْقُ وَالجِسْمُ نَاحِلُ
مَشُوقٌ إِلَى سَفْحِ اللِّوَى وَالأَجَارِعِ[1]

لَهُ مُهْجَةٌ مِنْ هَجْرِكُمْ قَدْ تَأَلَّمَتْ وَنَارُ الأَسَى بَيْنَ الضُّلُوعِ تَضَرَّمَتْ
وَعَيْنٌ مِنَ الدَّمْعِ السَّفُوحِ تَظَلَّمَتْ عَجِبْتُ مِنَ الأَيَّامِ لَمَّا تَصَرَّمَتْ
بِعُمْرٍ لَعَمْرِي فِي البَطَالَةِ ضَائِعِ

زَمَانُ الصِّبَا وَلَّى سَرِيعاً بِعَزْمَةٍ فَبُدِّلْتُ مِنْ بَعْدِ السُّرُورِ بِغُمَّةٍ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ حَلَّ بِلِمَّتِي[2] عَدَلْتُ إِلَى طُرُقِ الرَّشَادِ بِهِمَّةٍ
أَقُولُ لِقَلْبٍ قَدْ مَعَى فِي المَطَامِعِ

---

(١) اللوى والأجارع : مكانان بجزيرة العرب ، اشتاق الشاعر إلى رؤيتهما لعله يجد فيهما من آثار الأحباب ما يهدئ من روعه .

(٢) اللمة : شعر الرأس المتدلى إلى شحمة الأذن .

مَضَى العُمْرُ فى طَىِّ العتَابِ وَنَشْرِهِ   وَنَظْمِ حَدِيثٍ فى الغَرَامِ وَنَثْرِهِ
وَقَدْ قَالَ لى مَنْ لَا أَقُومُ بِشُكْرِهِ   عَلَيْكَ بِذِكْرِ الهَاشِمىِّ وَصَحْبِهِ

تَجِدْهُ غَداً فى الحَشْرِ خَيْرَ البضَائِعِ(١)

لَهُ الحَوضُ يا طُوبَىٰ لِعَبْدٍ لَهُ سَقَىٰ   وَمِنْهُ لَنَا أَهْدَى شَرَاباً مُرَوَّقَا
عَلَيْكَ بِمَنْ قَدْ زِيدَ طِيباً وَمَنْطِقَا   عَلَا قَدْرُهُ بينَ النَّبِيِّينَ فَارْتَقَى

عَلَى الشَّمْسِ نُوراً وَالبُدورِ الطَّوَالِعِ(٢)

لَهُ رُتْبَةٌ تَسْمُو على كُلِّ مُرْسَلٍ   دَلِيلٌ صَدُوقٌ فى الكِتَابِ المُنَزَّلِ
عَرَفْنَا بِهِ نَصَّ الحَدِيثِ المُسَلْسَلِ   عُلُومٌ له تُنْبِيكَ عَن كُلِّ مُشْكِلٍ

وَمَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ

شَرِيعَتُهُ مِنْهَا العُلُومُ تَفَرَّعَتْ   وَعَنَّا به سُحْبُ الضَّلالِ تَقَشَّعَتْ
مَفَاخِرُهُ مَرْوِيَّةٌ قَدْ تَرَفَّعَتْ   عُيُونٌ مِن المَاءِ الزُّلَالِ تَفَجَّرَتْ

لِشَارِبِهَا مِنْ كَفِّهِ وَالأَصَابِعِ(٣)

---

(١) من هنا تخلص إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) يشير إلى أنه عرج به إلى السماء السابعة ، وهى فوق الشمس والقمر ، وجميع النجوم والكواكب والأفلاك .

(٣) يشير إلى أن الماء نبع من بين أصابعه .. جاء فى البخارى ومسلم عن جابر : عطش الناس يوم الحديبية وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها ، فأقبل الناس نحوه ، فقال ما بالكم ؟ قالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب الا مافى ركوتك ، فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا وكانوا ١٤٠٠ فقيل لجابر كم كنتم ؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا .

شَرَحْنَا لمن يَدرِى الـكَلَام ويَفهَمُ   مفاخِره والذِّكرُ أعلى وأعظَمُ
لِسَانٌ بِصدقِ القولِ عنها يُتَرجِمُ   عشاءَ أتاه الذِّئبُ وهْوَ مُسَلِّمُ[١]
بِأَمْنٍ وإيمانٍ وَلَيْسَ بجازِعِ

هَنيئاً لِمن يُصْغِى لِذِكرِ صفاتِهِ   ويَحْوِى منَ المَولىٰ جزيلَ صِلاتِه
شَفيعُ الوَرى فى مَوْتِه وَحَياتِه   عَدَدْتُ له الآياتِ فى مُعْجِزَاتِه
فلَمْ أكُ منها لليَسيرِ بجامِعِ

لَقَدْ فازَ مَن يَرْجُو النَّجاةَ به غدًا   نَبِىٌّ كَرِيمٌ طابَ أصلًا ومَوْلِدَا
وَلَوْلاه لَمْ نَسْلُكْ طَريقاً إلى هُدَى   عَرَفْنا بهِ سُبُلَ الهِدايَةِ فَاهْتَدى
بِهِ كُلُّ عاصٍ مِنْ ضَلَالٍ وَطائِعِ

رَسولٌ له التَّأْديبُ والنَّصْرُ فى الأزَلْ   ولَوْلاهُ لَم نَدرِ الوُقوفَ عَلى الجَبَلْ
وَلَمْ يَقْبَلِ المَوْلى صَلاةً وَلَا عَمَلْ   عَشِقْناهُ شُبَّاناً وَشِيباً وَلَمْ نَزَلْ
عَلى حُبِّهِ لَمْ نَخْشَ قَوْلَ مُنَازِعِ

---

(١) يروى بعض الناس أن الذئب والغزالة والجمل والضب كلمت النبى صلى الله عليه وسلم . وهذه الروايات لم تثبت أمام النقد العلمى الذى قام به ابن تيمية وغيره من نقاد الحديث ، وهى من الأحاديث الضعيفة التى لا يوثق بها . بل عدها بعض العلماء من الموضوعات .

ولا ينقص من قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم تكلمه الحيوانات وقد أعطاه الله من الكمالات ما لم يعطه لمخلوق غيره عليه الصلاة والسلام .

حَقِيقٌ عليَّ الشُكْرُ فى حَقِّ أَحْمَدٍ   نَبِيٍّ مُطَاعِ الأَمْرِ نَرْجُوهُ فى غَدِ
وَذِكْرِى لَهُ قد شَاعَ فى كُلِّ مَشْهَدِ   عَلَوْتُ مَقاماً بامْتِداحِى لِسَيِّدِى
وَعَلقْتُ آمالِى بِتِلْكَ المطامِعِ

غِيَاثٌ يُرَجَّى عِند ضِيقِ المسَالِكِ   وَقَدْ وَرَدَ العَاصِى بِحَارَ المَهالِكِ
وَغُلِّقَتِ الأبوابُ عن كلِّ سَالِكِ   عَلَيْهِ اعْتمادِى عِنْدَ بَطْشَةِ مَالِكِ
شَفِيعٌ وَلَا خَوْفٌ إذَا كَانَ شَافِعِى

قافيـة الغـين

غَرِيرٌ كَحِيلٌ قَدْ زَهَا فى فُنُونه يُرِيكَ هِلاَلاً طَالعاً من جَبِينه
وَرَمَانى بِسَهْمٍ مِنْ سَوادِ جُفُونه غَزَالٌ سَبَى عَقْلى بدَعْج عيُونه
بوَجْهٍ حَكَاهُ البَدْرُ وَالبَدْرُ بَازِغُ

تَبَدَّى كَبَدْرٍ لاَحَ مِن تَحتِ غَيْهَبٍ وَيَرْنُو فَيُضْنِينِي بمُقْلَةِ أَشْنَب[1]
طَلَبْتُ رِضاهُ لَو ظَفِرْتُ بِمَطْلَبِي غَرِيرٌ حَمَى عنَّا لَمَاهُ بعَقْرَب[2]
مِنَ الصُّدْغِ يَسْعَى وَهْوَ فى القَلْب لاَدِغُ

هَواهُ بقَلْبِي قَدْ أَقَامَ وَعرَّسَـا وَشَيَّدَ بُنيانَ الغَرَامِ وَأَسَّسَا
وَقَدْ صِرْتُ لاأدرى الصَّباحَ مِنَ المَسَا عَرفتُ هواه فى حَقِّى حَشْوُها أَسَى
وَلَكنَّهُ خَالٍ من الصَّبْرِ فَارِغُ

شَكَوْتُ لَه حَالى وَفَرْطَ تَشَوُّقى فَلَمْ يَرَ ذُلِّى فى الهـوى وَتَحَرُّقى
سُهَـادِى بِهِ لاَ يَنْقَضِى وَتَأَرُّقى غُلاَمٌ سَبى عَقْلى فَشَيَّبَ مَفرِقى
وَمَا بَصَرى لمَّا نَـأَى عَنْهُ زَائـِغُ

بِعَيْنى حَبِيبٌ حَرْبُهُ مِثْـلُ سِلْمِه قَـوِىٌّ عَلى ضَعْفى يَجُـورُ بِظُلْمِهِ
فُـؤَادى أَسِـيرٌ لاَ يَزَالُ بِهَمِّهِ غَرَامى غَرِيمى وَالْهَوَى طَوْعُ حُكْمِهِ
فَإِنْ رَامَ أَمْراً فَهْوَ للأَمْرِ بَالغُ

---

(١) يرنو : ينظر . والمقلة : العين . والأشنب : من فى أسنانه شنب ، وهو رقة وعذوبة . ويقصد به الأفواه الطيبة .

(٢) الغرير : الشاب لا تجربة له ويسهل خدعه .

أَبِيتُ وَلِى قَلْبٌ مِنَ الحُبِّ مَا صَحَا وَلَيْسَ يُرَاعِى مَنْ يَلُومُ وَمَنْ لَحَا
وَقَدْ لَاحَ بِى شَوْقِى إِلَيْهِ وَبَرَّحَا غَدَائِرُهُ لَيْلٌ وَطُرَّتُهُ ضُحَى(١)
وَرِيقَتُهُ الشَّهْدُ الذِى هُوَ سَائِغُ

تَبَدَّى يُحَاكِى البَــدْرَ عِندَ تَمَامِهِ فَهَيَّجَ عِنْدِى لَوْعَةً مِنْ غَرَامِهِ
يَرُومُ دَمِى وَالقَلْبُ تَحْتَ ذِمَامِهِ غَزَانِى بِلَدْنٍ أَسْمَرٍ مِن قَوَامِهِ(٢)
فَلَمْ يَكُ لِى دِرْعٌ مِنَ الصَّبْرِ سَابِغُ

أَرَى جَفْنَ عَيْنِى فِى هَوَاهُ مُؤَرَّقُ وَجِلْبَابُ صَبْرِى لِلبِعَادِ مُمَزَّقُ
أَقُولُ وَفِى قَلْبِى جَوَى البَيْنِ يَخْفِقُ غُرَابُ غَرَامِى ظَلَّ بِالبَيْنِ يَنْعِقُ
وَلَا غَرْوَ أَن يَنْعَى وَقَدْ لَاحَ زَائِغُ

أَسِيرُ هَوَاهُ كَيْفَ يُرْجَى لِأَسْرِهِ فَكَاكٌ وَقَدْ حَازَ الفُؤَادَ بِأَسْرِهِ
حَبِيبٌ يُجَازِى مَنْ يُصَافِى بِغَدْرِهِ غَدَوْتُ وَفِى قَلْبِى لِسَوْرَةِ هَجْرِهِ
أَسَاوِدُ رُقْطٍ لِلقُلُوبِ لَوَادِغُ

غَرَامِى بِهِ فِى النَّاسِ قَدْ ظَلَّ شَائِعَا وَصَبْرِى عَصَى وَالوَجْدُ مَا زَالَ طَائِعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ وَافَى مُسَارِعَاً غَرِمْتُ زَمَانَاً فِى الصِّبَا مَرَّ ضَائِعَاً
عَلَىَّ وَأَفْنَاهُ الحَبِيبُ المُرَاوِغُ

---

(١) الطرة : الناصية ، يعنى أن ناصيته مشرقة كالضحى .

(٢) اللدن : اللين من كل شيء . والأسمر : من فى لونه سمرة ، وهى منزلة بين البياض والسواد . وقوام الإنسان ـ بفتح القاف ـ قامته وحسن طوله .

والمعنى أن محبوبه غزاه بما تجمع فيه من هذه الصفات الجميلة ، ولم يكن له درع من قوة التحمل يحميه من الوقوع فى حبائل حبه ، فوقع فيها وقوع غير المختار العاجز عن الدفاع عن نفسه .

مَلُولٌ سَبى عَقْلى وللقلبَ قدْ فتَنْ   نَى عَن جفُونى حبُّهُ لذّةَ الوسَنْ
أقولُ لصحْبى زَال مَا بى من الحزنْ   غنيتُ لعَمْرى عَن هَوَاهُ بحُبِّ مَنْ
لَهُ مَنْصِبٌ فَوْقَ السِّماكَيْنِ بَالِغُ[1]

أُحِبُّ نَبِيّاً بالشّفَاعَةِ مُنْجِيَـا   مَحَبَّةَ صِدْقٍ فى الوِدَادِ بِلَا رِيَا
لَقَدْ خَفَّ عَنّى مَا وَجَدْتُ مِن العيَا   غَمَامٌ سَكُوبٌ مُمْطِرٌ طَيِّبُ الحَيَا[2]
وَمَا زَالَ فى بَحْرِ المَعَاطى يُبَالِغُ

عَلَوْنَا بِهِ قَدْراً عَلى كُلِّ أُمَّـةٍ   وَنِلْنَا بِهِ جَاهاً وَفُزْنَا بنِعْمَةِ
نَبِىٌّ رَحِيمٌ ذُو رَشَادٍ وَعِصْمَةٍ   غَرِيزَتُهُ قَدْ أظْهَرَتْ كُلَّ حِكْمَةِ
لَهَا غُرَرٌ فى الخَافِقَيْنِ بَوَازِغُ[3]

لَقَدْ خَصَّهُ المَوْلَى وَأعْلَى مَنَـارَهُ   وَفى لَيْلَةِ المِعْرَاجِ أدْنَى مَزَارَهُ
وَمَا زَالَ لِلْجَانى يُقِيلُ عِثَـارَهُ   غَيُورٌ لدينِ اللهِ يَحْمِى ذِمَارَهُ[4]
بعَزْمٍ لِهَامِ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ دَامِغُ

تَأَرَّجَتِ الأكْوَانُ مِنْ طيبِ نَفْحِهِ   فَضَاءَتْ لَهُ الأكْوَانُ مِن نُورِ لَمْحِهِ
ظَلَامٌ جَلَى عَنَّا بِأنْوَارِ صَحْوِهِ   عَلَا كُلُّ شِعْرٍ قَدْ حَوَى دُرَّ مَدْحِهِ
فَمَا عَنْهُ طَرْفُ الفِكْرِ وَالذِّكْرِ زَائِغُ

---

(١) من هنا تخلص لمدح النبى صلى الله عليه وسلم .
(٢) الحيا . المطر والخصب . يعنى أمطروا مطرا فيه حياة الأرض وخصبها .
(٣) الغرر هنا : الأفعال الكريمة . والبوازغ : جمع بازغة : أى شارقة طالعة .
يعنى أن أفعاله الكريمة ظاهرة لا تخفى على أحد كالشمس عند بزوغها .
(٤) الذمار : ما يلزم الإنسان حفظه وحمايته .

لَقَدْ فَازَ عَبْدٌ فِيهِ حَقَّقَ ظَنَّهُ ... وَمِنْ خَوْفِهِ بِالعَفْوِ قَدْ نَالَ أَمْنَهُ
يُرَجَّى كَمَا تَرْجُو مِنَ الغَيْبِ مُزْنَهُ ... غَنِمْتُ مَدِيحِى فِى النَّبِىِّ لأَنَّهُ
أَسَاوِرُ مِنْ تِبْرٍ وَفِكْرِى صَائِغُ[1]

هَنِيئاً وَيَا بُشْرَى لِمَنْ كَانَ جَارَهُ ... وَطُوبَى لِمُشْتَاقٍ إِلَيْهِ ازْدِيَارَهُ[2]
فَمَا حَالُ صَبٍّ عَنْهُ شَطَّ مَزَارُهُ ... غَلِيلُ فُؤَادِى لاَ يَقَرُّ قَرَارُهُ
وَأَدْمُعُ عَيْنِى لِلْخُدُودِ صَوَابِغُ

حَبِيبٌ رَآهُ اللهُ أَهْلاً لِحُبِّهِ ... وَأَرْسَلَ جِبْرِيلٌ لِتَطْهِيرِ قَلْبِهِ[3]
وَلَمَّا شَمِمْتُ المِسْكَ مِنْ نَشْرِ تُرْبِهِ ... غِشَاوَةُ نُورِ القَلْبِ زَالَتْ بِحُبِّهِ
فَلَمْ يَخْشَ شَيْطَاناً إِلَى الزَّيْغِ نَازِغُ

يَخَافُ وَلاَ لَيْثُ العَرِينِ إِذَا بَدَا ... وَيَرْجُو لِمَنْ قَدْ حَازَ مِنْ طِيبِهِ النَّدَى
لَهُ الطَّوْلُ فِى العَلْيَاءِ وَالسَّبْقُ فِى المَدَى ... غُبِنْتُ لِبُعْدِى عَنْهُ وَالشَّوْقُ قَدْ غَدَا
يُهَيِّجُ نَاراً فِى حَشَاىَ تُبَالِغُ

أَوَامِرُهُ فِى الخَلْقِ أَضْحَتْ مُطَاعَةً ... وَأَحْكَامُهُ بِالقِسْطِ صَارَتْ مُشَاعَةً
وَمَدْحِى لَهُ يَرْقَى وَيَبْقَى بِضَاعَةً ... غَرِيقُ ذُنُوبٍ حَيْثُ أَرْجُو شَفَاعَةً
لِيُدْرِكَنِى عَيْشٌ مِنَ الخُلْدِ سَابِغُ

---

(١) شبه مدح النبى صلى الله عليه وسلم بأساور من التبر ، والتبر : الذهب ، وفكره هو الذى صاغ هذه الأساور .

(٢) الازديار : الزيارة .

(٣) شق جبريل صدر النبى صلى الله عليه وسلم ليطهر قلبه مرتين مرة عند مرضعته حليمة السعدية . ومرة فى المسجد الحرام .

قافية الفاء

فؤادى عليل ماله من يعوده   يعلل منكم بالذى لا يفيده
نفى النوم عن عينى فعز وجوده   فراق أحبائى بسيط مديده
وإنى لأخشى أن يكون به حتفى

منحتهم ودى فخانوا ولم يفوا   ولم يرحموا ذلى ولم يتعطفوا
وحثوا مطاياهم ولم يتوقفوا   فديتُ أناساً فارقونى وخلفوا
بقلبى حريقاً والمدامع لا تطفى

وبى غادة حازت فؤادى وخاطرى[1]   سبتنى بصبح تحت ليل غدائر
عليها فنى صبرى ففاضت محاجرى   فتاة براها الله نزهة خاطر
على الجوهر الشفاف كاملة الوصف

غدوت بها مضنى ورحت متيماً   وقد تركتنى ناحل الجسم مغرما[2]
رمت فى فؤادى بالقطيعة أسهما   فتور لحاظ فاتنات كأنما
إذا ما رنت تحكى بها أعين الخشف

---

(١) الغادة : المرأة الناعمة اللينة . والغدائر : جمع غديرة ، وهى ضفيرة الشعر . شبه الشاعر وجه محبوبته بالصبح ، وضفائر شعرها بالليل . وحينما بدا وجهها من بين ضفائر الشعر سبته بجمالها : أى أسرته وأصبح عبدا لها .

(٢) التيم : العبد . وتيمته : صيرته عبدا لها . ورنت : أدامت النظر إليه ، وأنشبت عينيها فيه بدون أن تحركهما يمنه ويسيرة . والخشف: ولد الظبى أول مايولد . . والمعنى : أن محبوبته ـ فى نظرتها ـ تشبه أعين ولد الظبى . وهى عيون طالما تغزل الشعراء فى جمالها .

عَلِيلُ هَوَاهَا لَيسَ يُرجَى لَهُ بَقَا ... وَمَلسُوعُ هَجْرٍ لَا يُرَامُ لَهُ رُقَا(١)
لَقَدْ سَلَبَتْ عَقْلِى سُوَيْكِنَةُ النَّقَا ... فَتِنْتُ بِهَا وَجْداً وَهِمْتُ تَشَوُّقاً
وَقَدْ نَطَقَتْ أَجفَانُ عَيْنِى بِمَا أُخْفِى

غَدَتْ غَادَةٌ تَخْتَالُ مَا بَيْنَ سِرْبِهَا ... يُرَنِّحُهَا فِى بُرْدِهَا تِيهُ عُجْبِهَا
فَلَا تَعذِلُونِى قَدْ شُغِفتُ بِحُبِّهَا ... فُؤَادِى تَمَنَّى أَن يَفُوزَ بِقُرْبِهَا
وَيَحْظَى بِوَصْلٍ وَاتِّفَاقٍ بِلَا خُلْفِ

مُحِبٌّ رَمَاهُ بِالصُّدُودِ حَبِيبُهُ ... إِذَا ذُكِرَ الوَادِى يَزِيدُ نَحِيبُهُ
حَزِينٌ يُنَادِيكُمْ فَهَلْ مَنْ يُجِيبُهُ ... فَقَدْتُ زَمَاناً أَبعَدَتْنِى خُطُوبُهُ
وَمَا زَالَ بِالتَّفرِيقِ يَقْوَى عَلَى ضَعْفِى

مَدَى اللَّيلِ طَرْفِى لَا يَزَالُ مُسَهَّدَا ... يُرَاقِبُ طَيفاً مِن بَخِيلٍ وَمَوْعِدَا
عَلَى طُولِ حُزنِى لَمْ أَجِدْ لِى مُسْعِدَا ... فَنِى زَمَنِى وَالعُمْرُ وَلَّى وَقَدْ بَدَا
نَذِيرُ مَشِيبِى وَهْوَ يُؤْذِنُ بِالصَّرْفِ

شَكَوْتُ لَهَا حَالِى وَفَرْطَ تَوَجُّعِى ... وَنَارَ جَوًى قَدْ أُضرِمَتْ بَيْنَ أَضْلُعِى
فَلَمْ تَرَ عَدْلِى فِى المَقَالِ وَلَمْ تَعِ ... فَرَرْتُ بِنَفْسِى ثُمَّ قُلْتُ لَهَا ارْجِعِى
إِلَى طَاعَةِ المَوْلَى فَطَاعَتُهُ تَكْفِى

دَعِى عَنكِ ذِكْرَ الغَانِيَاتِ لِتُحْمَدِى ... عَسَاكِ بِأَنْ تَحْظَى بِذَاكِ وَتَسْعَدِى
وَإِن شِئْتِ بَعْدَ الغَىِّ يَا نَفْسُ تَرْشُدِى ... فَقُومِى بِعَزْمٍ فِى مَدِيحِ مُحَمَّدِ
لِتَحْظَى مِنَ الرَّحْمٰنِ بِالجُودِ وَاللُّطْفِ

---

(١) الرقى : جمع رقية ، وهى ما يقرأ على المريض أو الملسوع ليبرأ .

هَنيئاً لِمَنْ وَافَى حِمَاهُ وَزَارَهُ وَحَلَّ بنَادِيهِ وَعَايَنَ دَارَهُ
وَقَدْ أخذَ الذِّكْرَ الْجميلَ شِعارَهُ فضيلَتُهُ أن الإلَهَ اسْتزارَهُ
وَأسْمَعَهُ من غَيْرِ صَوْتٍ وَلَا حَرْف [١]

صِغَارُ الحَصَى فى رَاحتَيْهِ بلا مِرا تُسَبِّحُ والماءُ الزُّلَالُ بها جرى
شَرِيفٌ عَفِيفٌ كَمْ تَعَبَّدَ فى حِرا فضيلٌ وَلَا مِثْلٌ يُضاهِيهِ فى الوَرى
يَفُوقُ ضياءَ البَدْرِ فى لَيْلَةِ النِّصْفِ

قد اسْتَمْسَكَتْ رُوحى بعُرْوَةِ حَبْلِهِ وَبالسَّادَةِ الآلِ الكرامِ وَصَحْبِهِ
وَتَهْوى مِنَ الوَادى نَسِيمَ مَهَبِّهِ فَتِيقَ سَحِيقِ المِسْكِ مِنْ عَرْفِ تُرْبِهِ
وناهيكَ مِنْ تُرْبٍ وَنَاهيكَ من عَرْفِ

لَقَدْ بَهَرَ البدْرَ المنيرَ جَمَالُهُ وَعَطَّرَت الأكوانَ نَشْراً خِلالُهُ
خَصَائِلُهُ مَعْلُومَةٌ وَفِعَالُهُ فَأحْكَامُهُ عَدْلٌ وَصِدْقٌ مَقَالُهُ
وَمَوْعِدُهُ نُجْزٌ وقَدْ جَلَّ عَنْ وَصْفِ

شفَاعَتُهُ مالٌ غَنِينَا بكَنْزِهِ وَنَحْنُ جميعاً كُلُّنا تحتَ حِرْزِهِ
حَدِيثٌ جَلِيٌّ لا احتياجَ لِرَمْزِهِ فَطَاطَةُ أهْلِ الشِّرْكِ لَانَتْ لِعِزِّهِ
وَحَلَّ بِهِمْ رُعْبٌ مِنَ الذُّلِّ وَالزَّحْفِ

لَقَدْ نُكِسَتْ تِيجَانُهُمْ والعمَائِمُ وَلَمْ يَكُ مِنْهُم مَن غدا وَهْوَ سَالِمُ
وَكَمْ فَتَكَتْ فِيهِمْ قَنًى وَصَوارِمُ فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ وَالفُرُوضُ لَوَازِمُ
قُدُودُهُمُ لِلْقَدِّ بالبِيضِ وَالزَّحْفِ

---

(١) يشير إلى أن الله كلمه ليلة المعراج بغير صوت ولا حرف ، لأن كلام الله يخالف لكلام الإنسان المركب من الأصوات والحروف .

أقول لمن قد بانَ عني ومَنْ دنا نجونا جميعاً بالشفاعة كُلنا
مِنَ المُصطفى والحمدُ لله والثنا فريقٌ به قد أحرزوا الدينَ والدُنا
فلا خوفَ من نارٍ ولا رُعبَ من خسفِ

قريبٌ مِنَ المولى ولا بُعدَ في مَدَى وما كانَ تقريبُ الإله لَهُ سُدَى
لَهُ عُصْبَةٌ تحمِي حِماهُ مِنَ الردَى فوارسُهم كالأُسدِ تسطو على العِدا
إذا ما التقى الجمعانِ في موقِفِ الزحفِ

عساكرُهُ افنتْ عِداهُ وما اعتدتْ وبالعادياتِ الأعوجيةِ قد غدتْ[1]
وكمْ أُسرةٍ مِنْ أَسرِهِ قطُّ ما افتدتْ فمَنْ مثلُهُ في الأنبياءِ وقدْ غدتْ
فضائلُهُ تُتلَى على الناسِ في الصُحفِ

ترانا وقوفاً كُلنا بِفِنائِهِ على ثقةٍ منا بِصدْقِ وَلائِهِ
فجادَ علينا مِنْ جزيلِ عطائِهِ فنحنُ وكلُّ الخلقِ تحتَ لِوائِهِ
لَهُ تَبَعٌ وهوَ المُقدّمُ في الصفِّ

---

(١) العاديات : الخيل والأعوجية : نوع جيد منها ينسب إلى فرس لبني هلال اسمه (الأعوج) .

قافيــة القـاف

قصدتكما عوجا بنجد وسلما ... على مدنف أضحى من الحب مغرما[1]
ينادى إذا ما عاين الليل معتما ... قف العيس يا حادى المطى على الحمى
وأبلغ سلامى ساكن البان والنقا

سلوا عن نحولى هجرها فهو مسقمى ... أفى أى شرع قد أحل لها دمى
أبيت ولا تدرى بفرط تألمى ... قريرة عين عن سهاد متيم
يحن إلى ذاك الجناب تشوقا

وفاتنة أوصافها قد تزايدت ... كالا تريك البدر حسنا إذا بدت[2]
ومن لى بها لو أنصفتنى وساعدت ... قريبة عهد من ديار تباعدت
تجدد عهداً فى فناها وموثقا

ترى بعد هذا الهجر تجمع شملنا ... وترجع أياما تقضت على منى
أناديهم والدمع فى الخد معلنا ... قضى الله بالبين المشتت شملنا
وهل ساعة منكم سبيل إلى اللقا

---

(١) الدنف ـ بفتح النون ـ المرض الملازم . ورجل مدنف ـ بفتح النون ـ : مريض مرضا ملازما . والعيس والمطى : الإبل . . والحادى : من يغنى للابل لتسرع فى السير . والحمى : محل سكنى الاحباب . . والشاعر يسأل المسافرين إذا مروا بنجد أن يقفوا إبلهم بديار الأحباب ، ويبلغوهم سلامه .

(٢) يريد أن محبوبته إذا بدت وظهرت للعيان حجبت البدر وشغل الناس عن النظر إليه بالنظر إلى حسنها وجمالها .

فؤادُ المُعَنَّى لا يُرامُ ثباتُهُ بحُبّ الذي في الحُسْنِ تمّتْ صِفاتُهُ
لهُ أملٌ والعمرُ يُخشى فواتُهُ قتيلُ غرامٍ كيفَ تُرجى حياتُهُ
وميتُ سقامٍ لا يُرامُ لهُ بقا

خذوا من صبا نجدٍ حديثي إذا سرى ليُخبرَكُمْ عنْ شرحِ حالي وما جرى
ولي مقلةٌ لمْ تُهنِها سِنَةُ الكرى قُصارى فإنّي لا أُطيقُ تصبُّرا
وقدْ حثّ حادي العيسِ بالبيدِ أيْنُقا(١)

إذا ما رأتْ نجداً يجِدُّ حنينُها ويعلو إذا جنّ الظلامُ أنينُها
إلى نحوِ وادي الخيفِ ترنو عيونُها قوائمُها تشكو الوجى وجفونُها
شكتْ مدمعاً لولا الزفيرُ لأغرقا

أسائقَها رِفقاً عليها وخلِّها ودعْها عساها أنْ تجودَ بوصلِها
مُقلقلةَ الأحشاءِ منْ فرطِ كلِّها قليلاً قليلاً لا تسُقْها وخلِّها
تسيرُ الهُوَيْنا وامتهلْ وترفّقا

سُلُوّي هجرٌ والغرامُ حقيقةٌ وأجفانُ عيني بالدموعِ غريقةٌ
وكمْ بينَ أحناءِ الضلوعِ حريقةٌ قلوبٌ إلى نحوِ الحبيبِ مشوقةٌ
تزيدُ على بُعدِ المزارِ تحرُّقا

---

(١) الأينق : جمع ناقة ، وتجمع أيضا على نياق .

أَحِنُّ إلى الوَادِي وأَهْوَى مَنَازِلاً تَرَحَّلَ عنها مَنْ هَوِيناه عَاجِلا
ولَمَّا سَرَى الحَادِي وحَثَّ الرَّوَاحِلا[١] قَطَعْنَا إلى وادي العَقِيقِ مَنَازِلاً

وقَدْ لاحَ نُورُ الهَاشِمِيِّ وأَشْرَقا[٢]

إِذَا مَا بَدَا البَرْقُ اللَّمُوعُ من الحِمَى يُذَكِّرُنِي ذَاكَ المقَامَ المُكَرَّمَا
ولَمَّا حَدَا الحَادِي سُحَيْراً وزَمْزَمَا[٣] قَدِمْنَا إلى خَيْرِ النَّبِيِّينَ بَعْدَ مَا

نَشَرْنَا لَهُ الأَعْلَامَ غَرْباً ومَشْرِقَا

بِهِ المدْحُ يَحْلُو في مَلَابِسِ حِرْزِهِ ويَزْهُو دَلَالاً في مَحَاسِنِ طَرْزِهِ
ويَشْرَحُ فِيهِ خَاطِرُ المتَنَزِّهِ قَرَعْنَا بِكَفِّ الذُّلِّ أَبْوَابَ عِزِّهِ

فَلَمْ نَرَ باباً إذْ أتيناهُ مُغْلَقَا

غَرَامِي بِهِ دَانٍ وَصَبْرِي نَاشِزُ ووَجْدِي بِهِ والقَلْبُ لِلسِّرِّ حَائِزُ
فَمِنِّيَ لَهُ مَدْحٌ ومِنْهُ الجَوَائِزُ قَدِيرٌ غَفُورٌ رَاحِمٌ مُتَجَاوِزُ

عَلَى أُمَّةِ التَّوْحِيدِ مَا زَالَ مُشْفِقَا

سَرَائِرُهُ مَعْصُومَةٌ والظَّوَاهِرُ وأَوْقَاتُهُ مَحْرُوسَةٌ والخَوَاطِرُ
ولَمَّا دَنَا التَّوْدِيعُ والرَّكْبُ سَائِرُ قَعَدْتُ بِجِسْمِي والفُؤَادُ مُسَافِرُ

وشَوْقِي جَدِيدٌ واصْطِبَارِي تَمَزَّقَا

---

(١) الرواحل : جمع راحلة ، وهي الناقة التي تحمل عليها أمتعة المسافرين وغيرهم
(٢) من هنا تخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم .
(٣) السحير : تصغير سحر ، وهو وقت من الليل قبيل طلوع الفجر

إليهِ اشتياقي لا يزالُ وحسرتي   عليهِ وصبري لا يُرامُ وسلوتي
وإني إذا ما خِلتُ في مدِّ خطوتي   قصيرُ الخُطا عن طولِ وهمي وأنَّتي
يُعوِّقُني عنها التخلُّفُ والشقـا

مُحِبٌّ تمنَّى أن يتِمَّ له الأملْ   بزورةِ خيرِ الأنبياءِ فلم ينـلْ
وفي كلِّ عامٍ أرتجي الوصلَ لو حصَلْ   قضيتُ زماني في متى وعسى وهلْ
أفوزُ بهِ والعزمُ أضحى معوَّقا

رسولٌ أتانا ناصِحاً بتودُّدِ   هُدينا بهِ وهوَ الشفيعُ لمن هُدي
رفيعُ المعاني سيِّدٌ وابنُ سيِّدِ   قواعدُ ديني مِدحتي لمحمَّدِ
شُغلتُ بها أضحى لساني مُطلقا

هدانا بهِ البارِي إلى صومِ شهرهِ   وعرَّفنـا مقدارَ ليلةِ قـدرهِ
نبيٌّ يرى المخفيَّ من غيبِ سِرِّهِ   فقُولُ لقد سارتْ تزورُ لقبرهِ
ضريحاً كساهُ اللهُ نوراً ورونَقا

هوَ العُروةُ الوُثقى بها فازَ من لجا   إليهِ ونورٌ لاحَ في غسَقِ الدُّجى[1]
وقفنا بهِ ندعوهُ يا خيرَ مُرتجى   قواطعُ ذنبٍ واصلتنـا وما نجـا
أسيرٌ بدُنيـاهُ غدا مُتعلِّقـا

إلى قابَ قوسينِ ارتقى عندَ ماسَرى   وعادَ سريعاً من سماءٍ إلى ثرى
عدمتُ فؤاداً رامَ عنهُ تصبُّرا   قبيحٌ على عيني تنامُ ولا ترى
بيثربَ قبراً نورُهُ قد تألَّقا

---

(١) الغسق : ظلمة أول الليل . والدجى ـ جمع دجية ـ بضم الدال ـ : وهي الظلمة

قافيـــة السين

سَلُوا هَلْ رَأَوْا قَلْبِي مِن الحُبِّ سَالِيا فَلِمْ هَجَرُوا صَبًّا مِن السُّقْمِ بَالِيَا
أَقُولُ لَهُمْ لَوْ يَسْمَعُونَ مَقَالِيَـا سَقَى اللهُ أَيَّاماً مَضَتْ وَلَيَالِيَـا
مَضَتْ فِى دِيَارِ العَـامِرِيَّةِ بِالأَمْسِ

لَقَدْ خَلَتِ الأَوْطَانُ مِن فَتَيَاتِهَا فَصَاحَ غُرَابُ البَيْنِ فِى جَنَبَـاتِهَا
بِهَا كُنْتُ وَالأَيَّامُ فِى غَفَلَاتِهَا سَحَبْتُ ذُيُولَ اللَّهْوِ فِى عَرَصَاتِهَا
وَكَانَ زَمَانِى بِاللَّـذَاذَةِ كَالعُرْسِ

نَدِيمِى أَدِرْ كَأْسِى وَبِاللهِ غَنِّ لِى بِذِكْرِ غَزَالٍ سَاحِرِ الطَّرْفِ أَكْحَلِ
وَفَاتِنَةٍ زَارَتْ عَلَى رَغْمِ عَاذِلِى سُرِرْتُ بِهَـا وَالعَاذِلَاتُ بِمَعْزِلِ
وَرُحْتُ بِرَاحٍ مِنْ مَرَاشِفِهَا اللُّعْسِ (١)

وَجَدْتُ بِهِمْ يَوْمَ النَّوَى مُذْ تَحَمَّلَتْ رَكَائِبُهُمْ وَالدَّارُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلَتْ
عَلَى كَبِدِى نَارُ الجَحِيمِ تَسَعَّرَتْ سُلِبْتُ لَذِيذَ العَيْشِ لَمَّـا تَرَحَّلَتْ
فَتِهْتُ بِهَا شَوْقاً وَغِبْتُ عَلَى حِسِّى

نُفُوسٌ عَزِيزَاتٌ تُرَى مَنْ أَذَلَّهَا وَسَفْكَ دِمَاهَا فِى الهَوَى مَنْ أَحَلَّهَا
وَبِى غَادَةٌ كَالشَّمْسِ تَمْنَعُ وَصْلَهَا سَمَحْتُ بِنَفْسِى فِى هَوَاهَا لَعَلَّهَا
تَدُومُ عَلَى حِفْظِ المَوَدَّةِ وَالأُنْسِ

---

(١) المراشف : الشفاه . واللعس ـ بضم اللام وسكون العين ـ جمع لعساء ، صفة للشفة . واللعس ـ بفتح العين ـ : سواد مستحسن فى الشفة . ويقال لمن شفتاها كذلك : لعساء .

تَحمَّلَ قلبي في هَواهَا تَحيَّةً وَلَمْ تَرْعَ بالتفريقِ وُدّاً وصُحبَةً
أُنادي عَساهَا أَنْ تُفرِّجَ كُربَةً سَقتني كُؤوساً بالمَحبَّةِ صِرْفَةً

فَمِلْتُ بها سُكراً وَغِبتُ على حِسِّي

سَقتني بكَاسَاتِ القَطيعَةِ ما سَقتْ وَكَمْ أَرْعَدتْ تيهاً عليَّ وأَبرَقتْ
وَقُلتُ مَقالاً صَادِقاً لَوْ تَحقَّقتْ سَرابيلُ صَبْري في الهوىٰ قَدْ تَمزَّقتْ

وَضَاقَتْ بِيَ الدُّنيَا كأَنِّيَ في حَبْسِ

أَحِبَّتُنَا حَثُّوا المَطَايا وَأَنجَدُوا وَمَا تَرَكُوا صَبْراً بِهِ أَتَزَوَّدُ
تَنَاءَوْا فَجَفني بَعدَهُمْ لَيسَ يَرْقُدُ سَتَبْلَىٰ عِظامِي وَالهَوىٰ مُتَجَدِّدُ

وَمَا أَنَا في شَكٍّ لَعَمْري وَلَا لَبْسِ

لَقَد فَازَ مَنْ أَهوَىٰ وَقلَّ تَجلُّدِي وَمُذْ رَحَلُوا عَنِّي تَجافيْتُ مَرْقَدِي
وَمَالِي سِوَىٰ دَمعي علَىٰ الخَدِّ مُسعِدِي سَأَبْسُطُ كَفِّي بالرَّجاءِ لِسيِّدِي

وَأَرفَعُ لِلرَّحمٰنِ مِنْ فَاقَتِي خَمْسِي

تُرَىٰ لِلمُعَنَّى رَاحَةً مِن نَحِيبِهِ لَعلَّ فُؤادِي يَهتَدِي مِن وَجِيبِهِ
لَهُ كُلَّ حِينٍ عِنْدَ ذِكْرِ ذُنُوبِهِ سُؤالٌ بِخَيْرِ الأَنبِيَاءِ حَبِيبِهِ

شَفِيعُ البَرَايَا وَالمُطَهَّرُ مِن رِجْسِ[1]

---

(١) من هنا تخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم .

هو المصطفى المختار حقاً لأنه   أتى نحوه جبريل إذ شق بطنه(١)
وطهره المولى وأذهب حزنه   سليل خليل الله أشهد أنه
نبي غدا بالنور أبهى من الشمس

شفيع لأسواء البرية كاشف   به كم نجا عاص وآمن خائف
وأنى مطيع أمره لا أخالف   سرى ليلة المعراج والليل عاكف
من المسجد الأقصى إلى العرش والكرسي

ترقى على متن البراق إلى السما   من المسجد الأقصى عزيزاً مكرما
تباهى به جبريل لما تقدما   سبيل الهدى يهدي من الغي والعمى
فطوبى لمن يهدى من الجن والإنس

ومنه التمسنا العز بعد إهانة   وأخلاقه من عفة وصيانة
أمانته قد نزهت عن خيانة   سما راقياً في القرب أعلى مكانة
وقد فاز بالمحبوب من حضرة القدس

لقد أوضح المعنى الخفي بكشفه   ومن به المولى علينا بلطفه
ويكل لسان المدح عن نعت وصفه   سحاب يسيل الجود من وبل كفه
وهذا صحيح ليس بالوهم والحدس

---

(١) شق بطن النبي صلى الله عليه وسلم مرة عند مرضعته حليمة السعدية ، ومرة في مكة .

لَقَدْ فَازَ بِالعَلْيَاءِ مِن رَبِّهِ العَلِي وَقَدْ خَصَّهُ بِالقُرْبِ عَن كُلِّ مُرْسَلِ
مَنَاقِبُهُ لَمْ يُحْصِهَا حَصرُ مُجْمَلِ سَخِيٌّ وَفِيٌّ حَازَ كُلَّ التفضُّلِ
مَعَارِجُهُ تُتْلَى وَتُقْرَأُ فِى الدَّرْسِ

رَفِيعُ المَعَالِى لَمْ تَرَ العينُ مِثْلَهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ لَيْسَ نُنْكِرُ فَضْلَهُ
لَهُ السَّبْقُ لَمْ يُدْرِكْهُ مَن كَانَ قَبْلَهُ سَلَوْتُ أمْتِدَاحِى غَيْرَهُ حُرمةً لَهُ
رَجَاءً وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ بِهِ أُنْسِى

بِمَدْحِى لَهُ دَارَ النَّعِيمِ أَحلَّنِى وَمِنْ قَيْدِ أَشْكَالِ الضَّلاَلَةِ حَلَّنِى
طَرِيقَ الهُدَى وَالرُّشْدِ لِلحَقِّ دَلَّنِى سَعِدْتُ بِهِ فِى كُلِّ حَالٍ وَإِنَّنِى
بِهِ لَسَعِيدٌ فِى الحَيَاةِ وَفِى الرَّمْسِ

لَقَدْ خَصَّهُ اللهُ وَأَسْدَى لَهُ المِنَنْ وَعَامَلَهُ بِاللُّطْفِ فِى السِّرِّ وَالعَلَنْ
بِهِ شَرُفَتْ قَيْسٌ وَسَادَتْ بِهِ اليَمَنْ سبيق (١) نجاةٍ فِى المَعَادِ لِكُلِّ مَنْ
عَلَى وُدِّهِ المَأْلُوفِ يُصْبِحُ أَوْ يُمسِى

جَمِيعُ البَرَايَا لَيْسَ تَحْصُرُ فَضْلَهُ وَلِى فِيهِ مَدْحٌ لَسْتُ أَسْمَعُ مِثْلَهُ
مَدِيحُ مُحِبٍّ لَيْسَ يُصْرَمُ حَبْلُهُ سَلاَمٌ عَلَيْهِ كُلَّمَا سُطِّرَتْ لَهُ
مَدَائِحُ بِالأَقْلاَمِ فِى سَاحَةِ الطِّرْسِ

---

(١) سبيق ـ على وزن فعيل ـ بمعنى فاعل : أى سابق . والمعنى : أن كل من أصبح وأمسى على ود النبى صلى الله عليه وسلم يكون من السابقين إلى النجاة يوم المعاد . وهو يوم القيامة .

قافية الشين

شُغِفتُ بأحْوَى[1] كالقَضيبِ المُهَفْهَفِ　　تَثَنَّى فما أبقَى فُؤادًا لِمُدْنَفِ

وَلَمّا نَهانى عاذِلى ومُعَنِّفِى　　شَرِقتُ بدَمْعِى مِن غَرامِى بأهْيَفِ[2]

يُحاكِى قَضيبَ البانِ لِيناً إذا مَشَى

يَلُومُونَنِى فِيمَنْ أُحِبُّ جَراءَةً　　وَلَمْ يُصْغِ سَمْعِى لِلملاَمِ بَراءَةً

غَزالٌ غَدَا يَقْرا الصُّدودَ قِراءَةً　　شَرُودٌ يَرَى قَوْلَ النَّصُوحِ إساءَةً

خَفِ اللهَ فِى قَتْلِ المُحِبِّينَ يا رَشَا[3]

يَميلُ كَغُصْنِ البانِ فى حَرَكاتِه　　وَيَرْنُو فيَحْكِى الظَّبْىَ فى لَحظاتِه

جَميعُ صِفاتِ الحُسْنِ بَعْضُ صِفاتِه　　شَقِيقٌ يُحاكِى الوَرْدَ فِى وَجَناتِه

وآسُ عِذارٍ فَوْقَ خَدَّيْهِ عَرَّشا

لَهُ طَلْعَةٌ كالبَدْرِ وَاللَّيلُ حالِكُ　　وَمِنْ أجْلِهِ ضاقَتْ عَلَىَّ المَسالِكُ

وَمَا الدَّمْعُ إلّا شافِعِى وَهْوَ مالِكُ　　شَهِىُّ اللَّمَى فِى مُهْجَةِ الصَّبِّ فاتِكُ[4]

بأسْهُمِ لَحْظٍ فى القُلُوبِ كَما يَشا

---

(1) الحوة : سواد يميل إلى الخضرة ، وشفة حواء . حمراء إلى السواد . والمعنى أن محبوبه فيه سواد مشرب بحمرة .

(2) الهيف ـ بفتح الهاء والياء ـ : ضمر البطن ورقة الخاصرة . ويقال للمرأة إذا كانت على هذا الوصف : هيفاء . وجمعها هيف بكسر الهاء .

(3) الرشأ : الغزال . والمعنى أنه ينصح لحبه الذى يشبه الغزال بأن يخاف الله ولا يتمادى فى قتل محبيه بالصدود والإعراض عنهم .

(4) اللمى: سمرة فى الشفة تزيدها حسنا . ويقال للمرأة لمياء إذا كانت فى شفتيها سمرة

فؤادُ المعنّى دائماً فى خفوقه يذوبُ أسىً مما به من حريقِهِ
لأجل حبيب سكّرنى من رحيقه شراباً سقانى من سلافة ريقه
فأذهل عقلى عند ذاك وأدهشا

ذوارفُ دمعى كالسحاب الهوامع تفيضُ وليس العذلُ فيه بنافع
ولما جفا جنبى لذيذ المضاجع شكوتُ الضنى منه وفيضُ المدامع
سقى كلَّ ربع كان قدماً معطّشا

معذّبتى حزتِ الملاحة فاحكمى على عاشقٍ حِلفُ الصبابة مغرم
قفى واسمعى ماذا أقولُ لتعلمى شكيةَ محزونِ الفؤادِ متيّم
كئيبٌ ومن فرط الضنى قد تشوّشا

تولّى زمانى فى صدود وفى ملل وقد مرّ عمرى ضائعاً وانقضى الأجل
ومن وصل من أهواه لم أبلغ الأمل شقيتُ زمانى بالعتاب ولم أزل
لما حلّ بى أشكو إليه تحرّشا

سروا بفؤادٍ مستهامٍ معلّلِ وبانوا فأضحى الصبرُ عنهم بمعزلِ
ولما حدا الحادى عدمتُ تحمّلى شققتُ جيوباً للوداع وحقّ لى
أشقّ فؤادى لا أبالى بمن وشى

بقلبى غدوا لما حدوا بالرواحلِ ولم يسمحوا لى منهمُ بالرسائلِ
لقد هيجت يوم الفراق بلابلى شماتةُ حسّادى ولومُ عواذلى
نفى النوم حتى أطلق النار فى الحشا

مَلِيحٌ كَبَدْرِ التِّمِّ يَحْلُو عَلَى فَنَنْ   نَأَى فَنَأَتْ عَنْ مُقْلَتِى لَذَّةُ الْوَسَنْ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعِشْقَ يَقْضِى عَلَى فَتَى   شَغَلْتُ فُؤَادِى عَنْ هَوَاهُ بِحُبِّ مَنْ
بِقَلْبِى لَهُ طَيْرٌ مِنَ الْحُبِّ عَشَّشَا[1]

فُؤَادِى غَدَا مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ فِى ظَمَا   إِلَى نَحْوِ مَنْ فَوْقَ السَّمٰوَاتِ قَدْ سَمَا
وَلَوْلَاهُ مَا اشْتَقْتُ الْحَطِيمَ وَزَمْزَمَا   شُغِفْتُ وَقَلْبِى بَاتَ فِى الْحُبِّ مُغْرَمَا
بِأَكْرَمِ خَلْقٍ فِى الْبَرِيَّةِ قَدْ نَشَا

أَمِينٌ عَلَى وَحْيِ الإِلٰهِ وَدِينِـــهِ   وَبِالْغَيْبِ يُنْبِى مُخْبِراً عَنْ أَمِينِـــهِ
وَمِنْ حَوْضِهِ نُسْقَى غَـــداً بِيَمِينِهِ   شُعَاعُ ذُكَاءٍ مِنْ صَبَاحِ جَبِينِهِ[2]
وَطُرَّتُهُ لَيْـــلٌ إِذَا اللَّيْلُ أَغْطَشَا

تُقَادُ مَطَايَانَا بِغَـــيْرِ أَزِمَّـــةٍ   تَسِيرُ بِأَشْوَاقٍ وَتَسْرِى بِعَزْمَـةٍ
مُنَاهَا لِتَحْظَى مِنْ ثَرَاهُ بِشَمَّةٍ   شَفِيعٌ رَحِيمٌ فِى الْحِسَابِ لِأُمَّـةٍ
بِهِ أَنِسُوا فِى مَنْزِلٍ ظَلَّ مُوحِشَا[3]

أَلَا أَيُّهَا الْحَادِى الْمُجِدُّ بِرَكْبِهِ   أَلَا خُذْ فُؤَادِى لِلْعَقِيقِ وَسِرْ بِهِ
فَقَدْ قَالَ لِى مَنْ زَارَهُ عِنْدَ قَبْرِهِ   شَمِمْتُ فَتِيقَ الْمِسْكِ مِنْ نَشْرِ تُرْبِهِ
فَهَيَّمَ ذَاكَ النَّشْرُ قَلْبِى وَأَدْهَشَا[4]

---

(١) من هنا تخلص لمدح النبى صلى الله عليه وسلم .
(٢) ذكاء : من أسماء الشمس . والطرة : الناصية . وأغطش الليل : أظلم . يعنى أن حبيبه تناهى فى الحسن حتى أن الشمس تطلع من جبينه .
(٣) من هنا تخلص لمدح النبى صلى الله عليه وسلم .
(٤) فتيق المسك : هو المسك الذى أخرجت رائحته بإضافة بعض الروائح اليه .

نَزَلنا بوَادى المُنحنى وَهِضَابِه فهانَ الذى قَدْ نالنى مِنْ صِعابِهِ
وَفُزْنا بإدراكِ المُنَى من ثَوابه شَبَاباً وَشيباً قَدْ وَقفنا بِبابِهِ
فعوّضنا أمناً جميلاً من الرّهشا[1]

رؤوفٌ بمن يَسعى إليهِ ويلطفُ فَلُذْ بحِماهُ تَنْجُ يا مُتَخوِّفُ
رَسُولٌ أمينٌ للعباد مُشرَّفٌ شكورٌ صَبُورٌ راحِمٌ مُتَعطِّفُ
محاسِنُهُ تُبرِى العيونَ منَ العَشا[2]

لَهُ رُتبَةٌ تَسمُو به وَفَضائِلُ وَأحكامُهُ مَقبُولَةٌ وهوَ عادِلُ
وَمَنْ ذا يُضاهى قَدرَهُ أو يُماثِلُ شُعُوبٌ أطاعَتْ أمرَهُ وَقبائِلُ
بطائرِ إيمانٍ وأمنٍ تَرَيَّشا

أَهيمُ بعزمٍ يَقتضى السَّيْرَ فى غدِ فَيَمنَعُنِى الحِرْمانُ عَنْ نَيلِ مَقصدى
ومِنْ فَرطِ أشواقٍ لَهُ وترَدُّدى شُهِرتُ بمَدْحى فى النبىِّ مُحَمَّدِ
وَحُبِّى لَهُ بَيْنَ البرِيَّة قَدْ فَشا

بلَغتُ به سُؤْلى وَنلتُ به المُنَى وَقَدْ تَمَّ لى المَقصُود فى الدّينِ والدُّنا
أقولُ مَقالاً بالحقيقةِ مُعلِنا شَهِدتُ بأنَّ اللهَ أرسَلَهُ لَنا
شَهادَةَ عَدلٍ لَمْ يَكُنْ قابِلَ الأرْشا

---

(١) يريد الحرب . يقال : ارتهش الناس إذا وقعت فيهم الحرب .

(٢) العشا : عدم الإبصار ليلا . ومنه الأعشى . ويصح أن يكون بالغين ، من الغشاوة .

قافيـة الهـاء

هَبُوا الصَّبْرَ قلباً بَاتَ بالحُبِّ مُوجَعَا يَكَادُ مِنَ الأشْوَاقِ أنْ يَتَقَطَّعَا

أُنَادِي وَدَمْعِي فَاضَ فى الخَدِّ: إرْبَعَا هَوَاكُمْ بقَلْبِي لَمْ يَدَعْ فيه مَوْضِعاً[1]

لِغَيْرِكُمْ يَوماً مِنَ الدَّهْرِ يَهْوَاهُ

أَحِنُّ إلى بَانِ الأُجَيْرِعِ وَاللِّوَى وَصَفْوِ زَمَانِي لَا يُكَدِّرُهُ النَّوَى[2]

لَقَدْ زَادَ فى قَلْبِي التَّحَرُّقُ وَالجَوَى هَوَاناً به كَمْ يَحْمِلُ الصَّبُّ فى الهَوَى

وَمِنْ شَوْقِكُمْ لَمْ يَبْقَ إلا بَقَايَاهُ

جَفَوْتُمْ وَمَا كَانَ الجَفَا مِن شِعَارِكُمْ أَهَنْتُمْ مُحِبًّا بَاتَ يَصْلَى بنَارِكُمْ

مُنَاهُ بأَنْ يَجْنِي المُنَى من ثِمَارِكُمْ هُبُوبُ الصَّبَا يَحْيَا بِهَا مِنْ دِيَارِكُمْ

وَيُسْكِرُهُ نَشْرُ الحِمَى وَخُزَامَاهُ

مَحَبَّتُكُمْ فى مُهْجَتِي مَا أَجَلَّهَا وَقَتْلُ نُفُوسٍ فى الهَوَى مَنْ أَحَلَّهَا

تَبَارَكَ مَنْ بالحُبِّ قَهْراً أَذَلَّهَا هَبُوا لِلْمُعَنَّى نَظْرَةً فَلَعَلَّهَا

تُبَرِّدُ نيراناً ثَوَتْ بَيْنَ أَحْشَاهُ

---

(١) ينادى أحبابه أن يهبوه الصبر ، فإن قلبه كاد يتقطع من شوقه إليهم ، ويقول لهم : اربعوا بى . أى قفوا وانتظرونى لألحق بكم فإنى لا أطيق بعدكم . ورسمت همزة الوصل فى إربعوا لوزن البيت .

(٢) الأجيرع : تصغير أجرع ، وهو الرملة الطيبة المنبت ، ويطلق على الأرض ذات الحزون التى تشبه الرمل .

سِهَامُ جَفَاكُمْ قَدْ أَلَمَّتْ بِمَقْتَلِى ... وَقَدْ جَرَّعَتْنِى عَاصِرَاتِ بِحَنْظَلِ
فَرِقُّوا لِصَبٍّ ذِى فُؤَادٍ مُعَلَّلِ ... هِلَالُ بَعِيدِ الوَصْلِ مَا آنَ يَنْجَلِى
سَحَابُ الجَفَا عَنْهُ وَأَحْظَى بِرُؤْيَاهُ

وَعَدْتُمْ وَلَمْ تُوفُوا لَنَا بِوُعُودِكُمْ ... وَلَا عَيْشَ لِى يَهْنَا بِغَيْرِ وُجُودِكُمْ
وَمَاذَا عَلَيْكُمْ لَوْ سَمَحْتُمْ بِجُودِكُمْ ... هَوِيتُ الضَّنَى مُسْتَعْذِباً لِصُدُودِكُمْ
وَلَوْلَا رِضَاكُمْ فِيهِ مَا كُنْتُ أَهْوَاهُ

أُكَاتِمُ وَجْدِى ثُمَّ أُبْدِى تَجَلُّدَا ... وَلَمْ أَرَ لِى يَوْمَ القِيَامَةِ مُنْجِدَا
سِوَى الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِى عَلَى الخَدِّ مُسْعِدَا ... هَوَادِجُكُمْ سَارَتْ سُحَيْرًا وَقَدْ غَدَا
بِهَا سَائِقٌ وَالرَّكْبُ قَدْ جَدَّ مَسْرَاهُ

وَفَيْتُ لَكُمْ جَازَيْتُمُونِى بِنَذْرِكُمْ ... وَأَخْفَيْتُ مَا أَلْقَاهُ صَوْناً لِسِرِّكُمْ
وَمَالِى أَنِيسٌ فِى الدُّجَى غَيْرُ ذِكْرِكُمْ ... هَدَدْتُمْ وِدَادَ المُسْتَهَامِ بِهَجْرِكُمْ
وَحَاشَاكُمْ أَنْ تُهْمِلُوهُ وَحَاشَاهُ

وَحَقِّكُمُ مَا حُلْتُ عَنْ حِفْظِ وُدِّكُمْ ... وَلَا رُمْتُ سُلْوَانًا وَنَقْضاً لِعَهْدِكُمْ
قِفُوا لِلَّذِى قَدْ صَارَ عَبْداً لِعَبْدِكُمْ ... هَجَرْتُمْ فَلَا عَيْشٌ يَلَذُّ لِبُعْدِكُمْ
وَلَذَّةُ قُرْبِ العَيْشِ مَا كَانَ أَهْنَاهُ

أَيَا مُلْبِسِى ثَوْبَ المَذَلَّةِ بِالَّذِى ... أَعَزَّكَ صِلْنِى قَدْ مُنِعْتُ تَلَذُّذِى
فَلَمْ تَسْمَعِ الشَّكْوَى وَلَمْ يَكُ مُنْقِذِى ... هَرَبْتُ بِعَزْمِى مُسْتَغِيثاً إِلَى الَّذِى
إِلَهُ الوَرَى مِنْ قَابَ قَوْسَيْنِ أَدْنَاهُ[1]

---

(١) من هنا تخلص إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

نَعِيمِى وَعَيْشِى لَمْ يَزَلْ دَائِماً هَنِى بِمَدْحِ نَبِىٍّ بِالشَّفَاعَةِ يَعْتَنِى
وَإِنْ عَاقَنِى الحِرْمَانُ عَنْهُ وَصَدَّنِى هُوَ المُصْطَفَى المُخْتَارُ حَقاً وَإِنَّنِى
سِوَاهُ لِدَفْعِ البُؤْسِ لَا أَتَرَجَّاهُ

لِطَيْبَةَ يَسْعَى أَهْلُ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ لِيَحْظَوْا بِمَا يَرْجُونَ مِنْ ذَلِكَ النَّبِى
فَنَالُوا بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ كُلَّ مَطْلَبِ هِضَابٌ قَطَعْنَاهَا إِلَى نَحْوِ يَثْرِبِ(١)
بِزَوْرَةِ هَادٍ بِالهُدَى خَصَّهُ اللهُ

هَوَاهُ مُقِيمٌ بَيْنَ أَحْشَاىَ قَدْ دُفِنْ وَآدَمُ بَيْنَ الطِّينِ وَالمَاءِ قَدْ عُجِنْ
وَمَنْ جَاءَ مِثْلِى فِى المَعَادِ فَقَدْ أَمِنْ هَنِيئاً لِعَبْدٍ حَلَّ فِى أَرْضِهِ وَإِنْ
يَكُنْ غَابَ عَنْ عَيْنِى فَفِى القَلْبِ مَثْوَاهُ

رَسِيسٌ بِقَلْبِى قَدْ حَوَتْهُ الأَضَالِعُ وَقَدْ قَرَّحَتْ أَجْفَانَ عَيْنِى المَدَامِعُ(٢)
وَعَوْى إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مُسَارِعُ هَمَمْنَا بِأَنْ نَسْعَى فَلَوْلَا مَوَانِعُ
تُعَوِّقُنَا كُنَّا عَلَى الرَّأْسِ زُرْنَاهُ

تَرَقَّى مَكَاناً لَمْ يَكُنْ فِى ضَمِيرِهِ وَقَدْ نَالَ عِزًّا فِى جَمِيعِ أُمُورِهِ
فَلَا مَطْمَعٌ فِى نَاظِرٍ بِنَظِيرِهِ هَدَى اللهُ كُلَّ الأَنْبِيَاءِ بِنُورِهِ
وَنَالُوا مِنَ الرَّحْمٰنِ أَوْفَى عَطَايَاهُ

---

(١) الهضبة : الجبل المنبسط على الأرض وطيبة : هى المدينة المنورة . ويثرب اسمها قبل أن يهاجر إليها النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) رسيس الحب : أ. له ـ يعنى : أن حب النبى ثابت فى قلبه . وقد أحاطت به ضلوعه فلا مفر له . وتعوقنا : تؤخرنا .

هَنِيئًا لِمَنْ أَضحى مُحِبًّا لِصَحْبِهِ وَعِتْرَتِهِ وَالْمُرْتَضَى خَيْرِ حِزْبِهِ
سَيُسْقَى غَداً كَأْساً يَلَذُّ بِشُرْبِهِ هُدِينَا بِهِ رُشْداً وَفُزْنَا بِقُرْبِهِ
وَلَوْلَاهُ لَمْ نُرْشَدْ إِلَى الْحَقِّ لَوْلَاهُ

شَرِيعَتُهُ الْبَيْضَاءُ لِلدِّينِ مَهَّدَتْ وَقَدْ نَفَتِ الإِشْكَالَ عَنَّا وَشَرَّدَتْ
وَمَا ضَرَّ عَيْنِي لَوْ أَطَاعَتْ وَأَسْعَدَتْ هَجِيرٌ لِنَارٍ بِالْبِعَادِ تَوَقَّدَتْ
وَلَمْ يُطْفِهَا عَنِّي سِوَى بَرْدِ لُقْيَاهُ

جَلَا ظُلَماً عَنَّا بِنُورِ صَبَاحِهِ فَكَانَ صَبَاحاً مُسْفِراً بِنَجَاحِهِ
بِهِ شَرُفَ الْوَادِي وَأَهْلُ بِطَاحِهِ هَزَزْنَا قُلُوباً نَحْوَهُ بِامْتِدَاحِهِ[1]
فَهَامُوا بِهِ شَوْقاً وَفِي حُبِّهِ تَاهُوا

حَنِينِي إِلَيْهِ لَا يَزَالُ وَمَا سَلَا فُؤَادِي عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَمَا قَلَى
لَقَدْ فَازَ بِالرِّضْوَانِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى هِبَاتٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَنَّ بِهَا عَلَى
قُلُوبٍ مَشُوقَاتٍ إِلَى الْحَشْرِ تَهْوَاهُ

لَهُ طَلْعَةٌ تَزْهُو عَلَى بَدْرِ تِمِّهِ وَقَدْ قَرَنَ الْمَحْمُودُ أَحْمَدَ بِاسْمِهِ
وَفِي حَرْبِهِ مَا زَالَ عَوْناً وَسِلْمِهِ هَوَايَ لِأَرْضٍ حَلَّ فِيهَا بِجِسْمِهِ
سَقَى تُرْبَهَا مَاءُ الْحَيَاةِ وَحَيَّاهُ

---

(١) يريد بالوادي : مكة ، وبطاحه : مسيل أوديته . يعني أن مكة وبطاحها شرفت به صلى الله عليه وسلم .

قافية الواو

وَحُرْمَةِ وُدِّي لَم يَكُنْ عَنهُ مَصْرِفُ لِقَلْبِ مُحبِّ بَعْدَهُم يَتَلَهَّفُ
لَقَدْ لَجَّ عُذَّالِي وفى اللَّوْمِ أسْرَفوا وَبي أغْيدٌ حُلْوُ الشَّمائِلِ أهْيَفُ[1]
أغَرُّ أزَجُّ لِلْمَلاحَةِ قَدْ حَوى

وَفَيْتُ بِعَهْدِي وَهْوَ بالعَهْدِ ما وفَى وَكَدَّرَ مِنْ وِرْدِ المَحَبَّةِ ما صَفَا
وَمَاذَا عَلَيْهِ لَوْ عَلَيَّ تَعَطَّفَـا وَلَوْ صَحَّ هَجْرِي مُسْتَدِيمٌ عَلى الجَفَا
فَجِسْمي بِهِ لَا يَسْتَرِيحُ مِنَ البَلْوَى

ذَكَرْتُ زَماناً بَيْنَ سَلْعٍ وَلَعْلَعٍ فَهَيَّجَ نِيرانَ الأسَى بَيْنَ أضْلُعِى[2]
وَبُحْتُ لِمَنْ أهْوى بِفَرْطِ تَوَجُّعِى وَمَالِي إلَيْهِ شَافِعٌ غيرَ أدْمُعِي
وَأشْكُو لَهُ لَوْ رَقَّ يوماً إلى الشَّكْوَى

نُفُوسٌ أراهَا لَا تَزَالُ مُذَابَةً عَلَى الخَدِّ تَجْرِى حَسْرَةً وَكآبَةً
دَعَتْهَا دَوَاعِي الوَجْدِ لَبَّتْ إجَابَةً وَلِي كَبِدٌ ذَابَتْ عَلَيْهِ صَبابَةً[3]
وَقَلْبٌ بِنَـارِ الشَّوْقِ مِنْ هَجْرِهِ يُكْوَى

---

(١) الأغيد : الذى مالت عنقه ، ولانت أعطافه ، لا من مرض ، بل من الدلال ، ورغد الحياة . والغادة المرأة الناعمة اللينة . والهيف - بفتح الياء - : ضمور البطن ورقة الخاصرة . ويقال لمن اتصف بهذا الوصف أهيف ، ويقال للمرأة هيفاء .

(٢) سلع : جبل بالمدينة . ولعلع : مكان بين البصرة والكوفة .

(٣) الصبابة : الشوق ، ورقة الهوى .

تُرى لَيْتَ شِعْرِى كَيْفَ حَلَّ لَهُ دَمِى ... وَمَنْ ذَا الذى أفْتَاهُ فى قَتْلِ مُسْلِمِ
وَلَوْ رَامَ عَدْلاً مَلَّ ظُلْمَ المُتَيَّمِ ... وَلٰكِنَّه قَدْ جَارَ فِى قَتْلِ مُغْرَمِ
تَحَمَّلَ وَجْداً لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ رَضْوَى[1]

إذَا مَا بَدَا الوَادِى وَلَاحَتْ بُرُوقُهُ ... يَزِيدُ بِقَلْبِى حُزْنُهُ وَخُفُوقُهُ
أيَا عَاذِلِى يَكْفِى فُؤَادِى حَرِيقُهُ ... وَقَدْ حَلَّ بِى فِى الحُبِّ مَالاَ أُطِيقُهُ
وَحَمَّلْتَنِى بِالهَجْرِ مَالَمْ أكُنْ أقْوَى

أرى لَيْلَ مَنْ أهْوَاهُ مِثْلَ سَحِيرِهِ ... لِشِدَّةِ مَا يَلْقَاهُ مِن فَرْطِ ضَيْرِهِ
وَإنْ سَارَ حَادِى العِيسِ سِرْتُ بِسَيْرِهِ ... وَقَالُوا تَسَلَّى عَنْ هَوَاهُ بِغَيْرِهِ
وَكَيْفَ التَّسَلِّى وَالفُؤَادُ لَهُ مَثْوَى

بَخِيلٌ عَلَى طَرْفٍ كَرِيمٌ بِعَبْرَةِ ... وَقَلْبِى مِنَ الأشْوَاقِ يُكْوَى بِجَمْرَةِ
وَعَقْلِى إلَيْهِ الحُبُّ غَطَّى بِسَكْرَةِ ... وَلَوْ جَادَ يَوْماً لِلْمُحِبِّ بِنَظْرَةِ
لَمَا صَارَ مِنْ فَرْطِ الضَّنَى جِسْمُهُ يُكْوَى

أحِنُّ إلَى بَطْنِ العَقِيقِ وَكُثْبِهِ ... وَأهْفُو إلَى ظَبْىِ العَرِينِ وَسِرْبِهِ
فَيَا أسَفِى أفْنَيْتُ عُمْرِى بِحُبِّهِ ... وَكَمْ قُلْتُ لِلْحَادِى المُجِدِّ بِرَكْبِهِ
رُوَيْدًا فَمَا أصْغَى لِقَوْلِى وَلَا لَوَى

نَفَى عَنْ جُفُونِى طِيبَ نَوْمِى وَشَرَّدَا ... حَنِينُ المَطَايَا حِينَ سَارُوا وَقَدْ حَدَا
بِهَا سَائِقُ الأظْعَانِ وَالرَّكْبُ أنْجَدَا ... وَسَارُوا إلَى وَادِى العَقِيقِ وَقَدْ بَدَا
لَهُمْ مَشْهَدٌ تَاهَ المَشُوقُ بِهِ زَهْوَا

---

[1] رضوى : اسم جبل بين مكة والمدينة . يعنى أن ما تحمله من الوجد والهيام بحبيبه لا يتحمله رضوى .

تولّوا وقلبى سائرٌ حين يمّموا إلى مكةٍ حثّوا الركاب وأحرموا
ومن بعدِ ذا نحو العقيق[1] تقدّموا وفى يثرب حطّوا الرحال وسلّموا
على خيرِ مبعوثٍ فضائله تُروى[2]

لقد ظفِروا بالقربِ من بعدِ بُعدِهم وبالمصطفى قد لاح طالعُ سعدِهم
وقد سرّهم بالسير إنجازُ وعدِهم وفازوا بما يرجون من حُسنِ قصدِهم
ونالوا المنى مِن عالم السرّ والنجوى

دعانى إلى المولى وكلُّ توسّلى بأكرمِ مبعوثٍ وأفضلِ مرسلِ
لمن تردُ الحُجّاجُ مِن كلّ منزلِ وقوفاً على أبوابه بتذلّلِ
وقد شاهدوا ذاك الجمالَ الذى يُهوى

عشيرتُه أكرِم بها مِن عشيرةٍ أتت عنهم الأخبارُ فى كلّ سيرةٍ
بأنّ لهم عزماً وحسنَ بصيرةٍ وقد نظروا نوراً كشمسِ ظهيرةٍ
أضاءت على الآفاقِ بل نورُه أضوا

ملائكةُ الرحمنِ بعضُ جنودِهِ كريمُ السجايا منجزٌ لوعودِهِ
سعِدنا به إذ لاح نجمُ سعودِهِ وجودُ المعالى كلُّها مِن وجودِهِ
ورىُّ سحابِ الجودِ مِن كفّه يُروى

---

(١) وادى العقيق : من أودية المدينة المنورة فى شماليها بينها وبين جبل أحد .

(٢) من هنا تخلص لمدح النبى صلى الله عليه وسلم .

مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى تَرَقَّى إِلَى العُلى وَقَرَّبَهُ مِن غَيْرِ هَجْرٍ وَلاَ قِلاَ[١]
لَقَدْ خَاطَبَتْهُ جَهْـرَةً ظَبْيَةُ الفَلاَ وَفِى لَيْلَةِ المِعْرَاجِ أُسْرِى بِهِ إِلَى
حَظِيرَةِ قُدْسٍ وَاحْتَوَى الغَايَةَ القُصْوَى

عَلَيْهِ صَلاَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَجَـدَّدَتْ مَتَى سَجَعَتْ قُمْرِيَّةٌ ثُمَّ غَرَّدَتْ
لَهُ مُعْجِزَاتٌ فِى الصَّحِيحَيْنِ أُسْنِدَتْ وَلَمَّا ارْتَقَى مَتْنَ البُرَاقِ وَقَدْ بَدَتْ[٢]
مَلاَئِكَةٌ مِن حَوْلِهِ وَالمَدَى يُطْوَى

رَأَى أَكْبَرَ الآيَاتِ عِنْدَ اقْتِرَابِهِ وَأَخْبَرَنَا عَمَّا أَتَى بِكِتَابِهِ[٣]
لَقَـدْ فَازَ مِن رَبِّ العُلاَ بِخِطَابِهِ وَحَيَّـاهُ بِالتَّسْـلِيمِ عِنْدَ إِيَابِهِ
فَنَحْنُ بِهِ نَرْجُو الشَّفَاعَةَ وَالعَفْوَ

أَرَى العِيسَ تَهْوِى فِى المَسِيرِ لأَحْمَدِ نَبِىِّ الهُدَى وَهُوَ الشَّفِيعُ لِمَنْ هُدِى
مُنَـاهَا بِأَنْ تَحْظَى بِزَوْرَةِ سَيِّـدِ وَلِى هِمَّـةٌ تَسْمُـو بِمَدْحِ مُحَمَّدِ
فَخَاراً وَمَا قَصْدِى سُعَادَ وَلاَ عَلْوَا

يَهِيجُ اشْتِيَاقِى عِنْدَ ذِكْرِى لِقَبْرِهِ وَلاَ سِيَّمَا عِنْدَ ارْتِيَاحِى لِنَشْرِهِ
فَلِلَّهِ مَا أَذْكَى نُسَيْمَاتِ عِطْرِهِ وَقَدْ نَعِشَتْ قَلْبِى لَذَاذَةُ ذِكْرِهِ
حَلاَوَتُهَا تُغْنِى عَنِ المَنِّ وَالسَّلْوَى

---

(١) سئل النبي صلى الله عليه وسلم ذات مرة عن أشياء ، فوعد بالإجابة ، فتأخر عنه الوحى ، وأشاع المشركون أن محمدا قلاه ربه ، ثم نزل عليه قوله تعالى : (ماودعك ربك وما قلى) والشاعر يشير إلى هذه الواقعة . (٢) الصحيحين : هما صحيح البخارى وصحيح مسلم . وقوله اسندت : يعنى اتصل سندها إلى النبى صلى الله عليه وسلم . والمدى : المسافة . يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسرى به كانت المسافات تطوى له . أى تقصر ، حتى أنه قطع المسافة من مكة إلى بيت المقدس - وهى مسافة تقطع فى أكثر من شهر - ثم عرج به إلى السماء كل هذا كان فى وقت قصير جدا (٣) الآية : العلامة . وأكبر الآيات التى رآها نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج هى رؤية الله جل جلاله ، من غير كيف ولا جهة . وكلامه له من غير حرف ولا صوت .

قافية لام ألف

لِأَيَّةِ حَالٍ حُلْتُموا عَنْ مَودَّتِى ... وَدُمْتُمْ عَلى هَجْرِى مَلَالاً لِصُحْبَتِى
خَبَاتُكُمُ فى النّائِبَاتِ لِشِدَّتِى ... لَأَنتم مُنَىٰ قَلبِى وَأَنتُمْ أَحِبَّتِى
وَمَا لِفُؤادِى سَلْوَةٌ عنكمُ أَصْلَا

عَلِيلُ هَواكُم بَاتَ يَشْكُو سَقَامَهُ ... إِذا مَا دَجَىٰ لَيْلٌ وَأَبْدى ظَلَامَهُ
يُرَاعِى الثُّرَيَّا قَدْ تَجَافَىٰ مَنَامَهُ ... لِأَنَّ فُؤَادِى يَسْتَلِذُّ حِمَامَهُ
فَرِيدٌ فَنِى فى الُحبِّ يَسْتَعْذِبُ القَتْلَا

بَكَى مِنْ ضَنَى جِسْمِى طَبِيبٌ وَعَائِدُ ... وَقَدْ نَقَصَ السُّلْوَانُ وَالوَجْدُ زَائِدُ
وَمَا لِى سِوَىٰ دَمْعِى عَلى الخَدِّ شَاهِدُ ... لِأَنَّ دُمُوعَ العَاشِقِين قَلَائِدُ
عَلىٰ جِيدِ هَيْفَاءِ الغَرامِ بِهَا تُجْلَا

عَفا اللهُ عن ذاكَ الحديثِ الَّذى مَضى ... وَحَيَّا زَماناً قَدْ تَصَرَّم وانْقَضىٰ
وَلَمَّا نأى الأحبابُ ضاقَ بِى الفضَا ... لَأَسْتَخبِرَنَّ الريحَ عن جِيرةِ الغَضى
أقامُوا بِوادِى الأَيْكِ أَمْ قَطَعُوا الرَّمْلَا

يُبَلْبِلُنِى نَوحُ الحَمَامِ عَلىٰ اللِّوى ... سُحَيْراً فَيَزْدادُ التَّحرُّقُ والجَوى[1]
أَحِبتُنَا قَد بَدَّلُوا القُرْبَ بِالنَّوى ... لِأَجلهم يُستعذَبُ الجَوْرُ فى الهوَىٰ
وَقَدْ صَارَ عِندِى كُلُّ صَعْبٍ به سَهْلَا

---

(١) البلبلة : تفرق الآراء ، وشدة الهم ، والوساوس . . ونوح الحمام : هديله وتغريده . . يعنى أنه حينما يسمع نوح الحمام يتذكر أحبابه فيتحير ولا يدرى ماذا يصنع فتزداد حرقة فؤاده عنهم .

ذَكَرْتُ أُوَيْقَاتِ الحَبِيبِ المُهَاجِرِ فَفَاضَتْ دُمُوعِى مِنْ سَحَابِ مَحَاجِرِى
وَبُحْتُ بِمَا أَخْفَيْتُه مِنْ سَرَائِرِى لِأَيَّامِنَا بِالرَّقْمَتَيْنِ وَحَاجِرِ

أُحُسُّ بِقَلْبِى مِن فِراقِى له نَبْلَا

غَرَامِى مُطِيعٌ والسُّلُوُّ مُخَالِفُ وكَمْ ذا أُدَارِى عَاذِلِى وَالْأُلَاطِفُ
وَبَرْدُ عِظَامِى لِلسَّقَامِ مُحَالِفُ لِأَجْفَانِ عَيْنِى وَالدُّمُوعِ مَوَاقِفُ

وقد شَهَرَ التَّفرِيقُ من جَفْنِهِ وَصلاً[1]

لَقَدْ غيَّرَ الهِجْرَانُ وَالبُعْدُ حَالَتِى وبَدَّلْتُ رُشْدِى فى الهوى بِضَلَالَتِى
أُنادِيهِمُ لَوْ يَسْمَعُونَ مَقَالَتِى لِأَهْلِ الحِمَى يا سَعْدُ بَلِّغْ رِسَالَتِى

لَعَلَّهُمُ بالقُرْبِ أَنْ يَجْمَعُوا الشَّمْلَا

إِلَى كَمْ أُعانِى عَاذِلِى وَأُعانِدُ وَأَكْتُمُ وَجْدِى فِيهِمُ وأُكَابِدُ
وَقَدْ لَجَّ بى فى اللَّوْمِ وَاشٍ وَحَاسِدُ لِإِجْمَاعِهِمْ من دَمْعِ عَيْنِى مَوَارِدُ

أَيا سَائِقَ الأَظْعانِ مَهْلًا بِهَا مَهْلَا

---

(١) يعنى أن عظامه بردت من شدة السقام الذى أصابه ، ولم يبق فيها من حرارة القوة ما يمكنه من السير للحاق بأحبابه . وقد كان التفريق بينه وبين حبيبه سبباً فى إشارات كانت تصدر من جفن حبيبه تشير إلى أن هناك بينهما وصلا معنوياً روحياً وإن تفرقت الأجسام حسيا .

زَمانُ صِبـايَ قَدْ تولّى بِعزْمةٍ وجَيْشُ مَشيبِي قَد ألمّ بِلمّتِي(١)
فَقُلْتُ لِنَفْسِي ذائِداً عَنْ مَـذَمّـةٍ لأَحْسَنُ ما يُرجَى لِكُلِّ مُلِمّـةٍ
مَدِيحُ نَبِيٍّ كانَ بالمَنْظَرِ الأَعْلا(٢)

نَبِيُّ هُدًى حُزْنَا بِهِ كُلَّ نِعْمَةٍ وَمَنَّ عَلَيْنَا ذُو الجَلالِ بِرَحْمَةٍ
بِهِ كَمْ فَهِمْنَا مِنْ عُلومٍ وَحِكْمَةٍ لِآياتِهِ قَدْ أذْعَنَتْ كُلُّ أُمّـةٍ
وَلَمْ تَرَ شِبْهاً قَدْ حَكَاهُ وَلاَ مِثْلاَ

هُدِينَـا بِهِ لَمّا سَلَكْنَا مَحَجّـةً وَخُضْنَا بِحاراً فِي رِضَاهُ وَلُجّةً
وَلَوْلاهُ ما اشْتَقْنَـا طَوافاً وَحَجّـةً لِإسْرَاهُ لَيْلاً أشْرَقَ الكَونُ بَهْجَةً
فَـأَخْبَارُهُ تُرْوَى وَآياتُهُ تُتْلا

لَقَدْ خَصَّهُ الرَّحْمٰنُ بالخَيْرِ كُلِّهِ وَأَمْطَرَهِ مِنْ جُودِ فَائِضِ فَضْلِهِ
وَأَوْجَدَ كُلَّ الكَائِناتِ لِأَجْلِهِ لِأَحْمَدَ جَاهٌ كُلُّنَا تَحْتَ ظِلِّهِ
وَمَنْ خَافَ حَرّاً مُحْرِقاً طَلَبَ الظِّلّا

لِآياتِهِ فِي كُلِّ نَادٍ تِـلَاوَةٌ وَفِي كُلِّ لَوْنٍ رَوْنَقٌ وَجَلَاوَةٌ
وَقَدْ شَمِلَتْ مَنْ حَادَ عَنْهَا شَقَاوَةٌ لِأَوصَافِهِ فِي كُلِّ سَمْعٍ حَلَاوَةٌ
فَلِلّهِ مِنْ ذِكْرٍ شَهِيٍّ فَما أَحْلَا

---

(١) ألم به : نزل . واللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . والملمة : ما يلم بالإنسان — أي ينزل به — من مصائب الحياة .

(٢) من هنا تخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم .

وَسُـــولٌ إلى كُلّ البَرِيّةِ مُرتَضَى   عَسَاكِرُهُ مَنصُورَةٌ تَملأُ الفَضَـــا
فَكَانَ عَلى حُبّ الثّوَابِ مُحرِّضًا   لِأهلِ النُّهَى مِنهُ البِشَارَةُ وَالرِّضَا
وَمَنْ كَانَ يَرْجُو البَعْضَ قَدْ أحرَزَ الكُلَّا

تَجَـــاوَزَ عَنْ جَانٍ وَعَنْ مُخْطِئٍ عَفَا   وَإنْ قَالَ قَوْلاً زَانَهُ الصِّدْقُ وَالوَفَا
لَقَـــدْ عَزّهُ رَبُّ العِبَادِ وَشَرّفَا   لَأُقْسِمُ بِالبَيْتِ العَتِيقِ وَبِالصَّفَا[1]
وَزَمْزَمَ وَالرُّكْنِ المُقَبّلِ وَالمَعْلَا

لَهُ تَشْهَدُ الآيَاتُ فِى كُلّ سُـــورَةٍ   بِمَا خَصّهُ المَوْلَى بِمَعْنًى وَصُورَةٍ
وَإنْ عَاقَنِى عَنهُ القَضَا لِضَرُورَةٍ   لَأَبْتَهِلَنّ الآنَ فِى قَصْدِ زَوْرَةٍ
لِخَيْرِ نَبِىٍّ قَدْ حَوَى الفَرْعَ وَالأَصْلَا

مَغَارِقُنَــا تَزْهُو بِهِ وَالمَغَارِبُ   وَلَوْلَاهُ مَا انْسَاقَتْ لِحَادٍ رَكَائِبُ
وَلَمْ يَسْرِ مُسْتَخْفٍ وَلَا سَارَ سَارِبُ   لِأَصْحَابِ خَيْرِ الخَلْقِ سَارَتْ مَرَاكِبُ
كَمَا أنّهُ حَازَ الجَلَالَةَ وَالعَقْـــلَا

---

(١) البيت العتيق : هو الكعبه المشرفة . والصفا : جبل بقرب المسجد الحرام من الجهة الشرقية يبتدأ منه بالسعى وينتهى إلى المروة . وزمزم : بئر فى وسط البيت الحرام . والركن المقبل : هو ركن الكعبة الذى فيه الحجر الأسود . والمعلا : المكان الذى به مقابر مكة .

أَمِنَّا بِهِ رَوْعَ الفِجَاجِ وَسُبْلَهَا وَسُحْبُ سَمَاءِ الجُودِ سَحَّتْ بِوَبْلِهَا

لَهُ عِتْرَةٌ تَسْمُو وَتَزْهُو بِفَضْلِهَا لِأَنَّهُمُ خَيْرُ البَرِيَّةِ كُلِّهَا

وَهُمْ أَهْلُ مَنْ سَادَ النَّبِيِّينَ وَالرُّسْلَا

لَقَدْ سَعِدُوا فِى مَوْتِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ وَقَدْ شَهِدَ البَارِى بِصِدْقِ رُوَاتِهِمْ

دِمَاءُ أَعَادِيهِمْ شَرَابُ ظُبَاتِهِمْ وَأَثْوَابُ مَدْحٍ جُدِّدَتْ فِى صِفَاتِهِمْ

لِأَنَّ حَدِيثِى لَمْ يَكُنْ عَنْهُمُ مَوْلَا

قافية اليـــاء

يميناً بمن زار الحطيم وزمزما ... ومن طاف بالبيت العتيق وأحرما

لقد خلفوني ناحل الجسم مغرما ... يبوح بسري دمع عيني وكلما

قصدت احتباس الدمع يسبقني جريا

لقد خشعت قهراً لديهم رؤوسنا ... وذكرهم في كل وقت أنيسنا

وقد ملئت بالحب صرفاً كؤوسنا ... يهون علينا أن تباع رؤوسنا

بوصل ولو جئنا على رأسنا سعيا

ملكتم فؤاداً لا يزال معللا ... بسوف وحتى وهو في الحب ما سلا

جعلتم نصيبي منكم الهجر والقلا ... يراني عذولي في هواكم ممثلا

قتيل اشتياق وهو يحسبني حيا

يلومونني في ساحر الطرف قد رمى ... بقلبي من تلك اللواحظ أسهما

إذا رمت أن أخفي الغرام وأكتما ... يزيد اشتياقي كلما ذكر الحمى

سقى تربه دمعي وحيا به الحيا

بذات النقا والبان من أيمن الغضى ... محبا بكى عيشاً تصرم وانقضى

وإن غرد الحادي سحيراً وقرضا (1) ... يذكرني برق الحمى زمناً مضى

وإن سرت في وجد يقول الهوى هيا

---

(1) قرضهم بذكر محاسنهم .

وَأهوى رَشِيقَ القَدِّ زَادَ مَلاحَةً يهُونُ عَلَى الموتُ فِيــهِ سَمَاحَةً
وَفي بَحْرِ صَبْرِى مَا عَرَفْتُ سِبَاحَةً يَقُولُونَ أضْحى الحُبُّ للصبِّ رَاحَةً
وَرُشْداً فـأَلْفَيْتُ الشَّقَاوة وَالْغيا

تَرَحَّلَ مَنْ أهْوَى وَسَارَتْ نِيَاقُهُمْ وَكَانَ إلَى وَادِى العَقِيقِ مَسَاقُهُمْ
وَحَثُّوا مَطَايَاهُمْ وَجَــدَّ سِبَاقُهُــمْ يَعِزُّ عَلَيْنَــا هَجْرُهُمْ وَفـرَاقُهُمْ
وَيَشْكُو هَجِيرَ الهَجْرِ مَنْ عَدِمَ الغيا

رَعى اللهُ سَادَاتٍ سُقِينَا بِحُبِّهِمْ وَقَدْ عَذَّبُوا بالهَجْرِ قَلْبَ مُحِبِّهِمْ
تَقَاصَرَ صَبْرِى مِنْ تَطَاوُلِ عَتْبِهِمْ لِيَهْنَا بِهِمْ غَيْرِى وَيَحْظَى بِقُربِهِـمْ
وَنِيرَانُهُمْ تُكْوَى بِهَا كَبِـدِى كَيَّا

أيا صَاحِبِى بَلِّغْ سَلاَمِى مُبَيِّنَـا وَأخْبِرْهُمُ عَمَّا لَقِيتُ مِنَ العَنَــا
حَلَفْتُ لَهُ وَالجِسْمُ يُكْوَى من الضَّنَى يَمِيناً بِـأصْوَاتِ الحَجِيجِ عَلَى مِنَى
لَقَـدْ فَوَّقُوا سَهْماً فَمَا أخْطَأَ الرَّمْيَا[1]

وَعَرِّجْ إذَا جِئْتَ الأُجَيْرِعَ وَالنَّقَـا عَلَى مَنْ بِقَيْدِ الحُبِّ أصْبَحَ مُوثَقَا
إذَا مَا بَدَا الـبَرْقُ اللَّمُوعُ وَأبْرَقَا يَذُوبُ فُؤَادِى حَسْرَةً وَتَشَوُّقَا
إلَى خَيْرِ مَنْ حَازَ الفَضَائِلَ وَالعَلْيَا[2]

---

(١) فوقوا سهما : رموه به ، فأصابه . وهو كناية عما يصيب جسمه من نحول من فراق الأحبة .

(٢) من هنا تخلص إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد طابَ أصلاً مثلَ ماطابَ مولِدا وكم ردَّ حيراناً عتَا وتمردا
به جاهُنا باقٍ إلى آخرِ المدى يداه سحابٌ جودُها طيبُ الندى
يبل بها الصادى ويروى بها ريا

إلى حجرةِ الهادى قطعْنا مسافةً بها قد أمِنَّا روعةً ومخافةً
رسولٌ به لم نخشَ فى الحشر آفةً يخافُ ويُرجى هيبةً ولطافةً
أمِنَّا به المحذورَ فى الدين والدنيا

رحيمٌ به الرحمنُ أظهرَ دينَنا وأذهبَ عنَّا بالشفاعةِ شَيْنَنا
وحقَّقَ فيه ظنَّنا ويقينَنا يعزُّ علينا أن نعيشَ وبيننا
مسافةُ بينٍ كيف لاتنطوى طيّا

شذا عرفِه أذكى من المسكِ أطيبا وريقتُه كانت من الشهدِ أعذبا
ومولدُه قد شاع شرقاً ومغربا يفوقُ على كلِّ النبيينَ منصبا
ولا مثلُه فى الناسِ شِبهاً ولا زيّا

تعطرتِ الأكوانُ من نشرِ عرفِه وحازَ من الإحسانِ أضعافَ ضعفِه
وقد زادَه المولى فنوناً بلطفِه يكلُّ لسانى أن يقومَ بوصفِه
نبىٌّ مهابٌ قد حوى الأمرَ والنهيا

وأوصافُه لم تخلُ عن ذكرِ ذاكرٍ مقيمٌ بقلبى جائلٌ فى سرائرى
يرقُّ إليه كلُّ قلبٍ وخاطرٍ يحنُّ إليه كلُّ بادٍ وحاضرٍ
ويجذبُه فرطُ الحنينِ إلى اللُّقيا

تَبِيٌّ الهُدى قَدْ طارَ باليُمْنِ طَيْرُهُ وَكانَ إلى أعلى المَقاماتِ سَيْرُهُ[1]
وَحَيّاهُ بالتَّسْلِيمِ فَازْدادَ خَيْرُهُ يَعِيشُ بِهِ قَلْبِي هَنِيئاً وَغَيْرُهُ
سَيَصْلَى سَعِيراً لا يَمُوتُ وَلا يَحْيَا

تَرَقَّى بِهِ جِبْرِيلُ نَحْوَ حَبِيبِهِ لِتَوْفِيرِ فَضْلٍ نالَهُ دُونَ غَيْرِهِ
شَفِيعٌ مُطاعٌ فازَ لائِذُ حِزْبِهِ[2] يَفُوحُ عَبِيقُ المِسْكِ مِن نَشْرِ طِيبِهِ
وَيا حَبَّذا عَرْفٌ يُشَمُّ لَهُ رَيّا

صَفُوحٌ عَنِ الجاني يَجُودُ بِحِلْمِهِ إذا جاءَهُ مُسْتَغْفِراً بَعْدَ ظُلْمِهِ
حَفِظْنا لَهُ وُدّاً فَفُزْنا بِسِلْمِهِ يُنَبَّأُ بالمَخْفِيِّ مِنْ عِلْمِ سِرِّهِ[3]
يَقِيناً إذا جِبْرِيلُ أسْمَعَهُ الوَحْيا

مَدَدْتُ إلى الرَّحْمٰنِ مِن فاقَتِي يَدِي وَأجْهَدْتُ نَفْسِي كَيْ تَرى الفَوْزَ في غَدِ
لِما نالَ قَلْبِي مِنْ جَوًى مُتَصَعِّدِ يَهِيجُ غَرامِي عِنْدَ ذِكْرِي لِأَحْمَدِ[4]
كَأَنِّيَ مَلْسُوعٌ وَقَدْ عَدِمَ الرُّقْيا

---

(١) أعلى المقامات: هو العروج به إلى السموات ، وحياه ربه تعظيما له وتكريما . يقال إن الله تعالى قال له : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته .

(٢) لائذ حزبه : أى من ينتمى لحزبه .

(٣) أى يخبره جبريل بالمغيبات بتعليم وأمر من الله سبحانه وتعالى .

(٤) كلما ذكر الشاعر اسم النبي صلى الله عليه وسلم هاج غرامه به ، واشتد شوقه إلى رؤيته ، ولم يجد ما يهدئ من هذا الشوق إلى رؤيته ، وأصبح كأنه ملسوع ولم يجد من يرقيه .

وإلى هنا انتهى ديوان مواطننا الأستاذ البهلول وانتهى ما أردنا تعليقه عليه .

وقد قصدنا من هذا التعليق تقريب معانى بعض الألفاظ اللغوية إلى فهم القارئ ليزداد رغبة فى هذا النوع من الأدب الليبي .

والله يجزيه بما بذل فى مدح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جهد حتى أخرج إلينا هذا الديوان على شكل قل نظيره فى المدائح النبوية ؟

ربيع الآخر سنة ١٣٨٦ هـ
أغسطس سنة ١٩٦٦ م

الطاهر أحمد الزاوى
الطرابلسى

= وقد ختم الناظم نظمه بما يفيد أنه مستغرق فى حب النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كلما ذكره هاج شوقه إليه وازداد هياما فى حبه .

ونحن نهنئه بهذا الاستغراق فى حب النبي صلى الله عليه وسلم . ونهنئه أيضاً بتوفيقه إلى هذا النظم البديع ، وهو كما قال : أسورة من تبر صاغتها يده فى مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

فهرس

ملحوظة :

وقعت فى الشكل بعض أغلاط مطبعية تركت التنبيه عليها لفطنة القارئ ؟